مدرسة الحب والزواج

تأليف

ابراهيم المصري

الكتاب: مدرسة الحب والزواج

الكاتب: ابراهيم المصري

الطبعة: ٢٠٢٠

الناشر: وكالة الصحافة العربية (ناشرون)

٥ ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكور- الهرم – الجيزة

جمهورية مصر العربية

هاتف : ٣٥٨٢٥٢٩٣ _ ٣٥٨٦٧٥٧٦ _ ٣٥٨٦٧٥٧٥

فاكس : ٣٥٨٧٨٣٧٣

APA

E-mail: news@apatop.comhttp://www.apatop.com

دار الكتب المصرية

فهرسة أثناء النشر

المصري ، ابراهيم

مدرسة الحب والزواج/ ابراهيم المصري

– الجيزة – وكالة الصحافة العربية.

١٣٩ ص، ١٨*٢١ سم.

الترقيم الدولى: ٠ – ٧٢٠ – ٤٤٦ – ٩٧٧ – ٩٧٨

أ – العنوان رقم الإيداع : ٥٩٦١ / ٢٠١٨

مدرسة الحب والزواج

وكالة الصحافة العربية
«ناشرون»

إهداء

«إلى كل شاب وفتاة، وكل زوج وزوجة، أهدي هذا الكتاب الذي أرجو أن يبصرهم جميعًا بحقائق نفوسهم، وخطورة واجباتهم، ومدى مسؤولياتهم، تجاه مشاكل الحب والمرأة والزواج التي تتعلق بصميم حياتهم.»

ابراهيم المصري

عالم الحّب

ما هو الحب؟..

الحب عاطفة معقدة يشترك في تكوينها القلب والبدن والعقل والخيال.

ومن الناس من يقضي حياة طويلة ثم يموت دون أن يحس عاطفة الحب. ومن الناس من يفكر ويشعر ويحيا ويموت في سبيل الحب.

وكلما كان الإنسان فقير العقل محدود أفق الخيال، كان أقرب إلى الفطرة في حبه، وأوثق صلة بالغريزة، وكلما كان مستنير الفكر، واسع أفق الخيال، كان أكثر استعدادًا للحب العاطفي. وأدنى إلى اعتباره، قبل كل شيء، علاقة روحية سامية تؤلف بين قلبين وتجمع بين نفسين.

أحبك إلى الأبد...

عندما يتحاب شخصان يسرع كل منهما فيقسم للآخر بأنه يحبه إلى الأبد... وهذا القسم العجيب هو سر عظمة العشاق، فهم لا يفكرون في الغد. لا يفكرون في تطور عواطفهم، وتبدل أخلاقهم، وما ركب في جوهر طبيعتهم البشرية من عوامل التقلب والضعف. والواقع أن هذه الرغبة الجنونية في دوام الحب دوامًا أبديًا، هي التي تبهرهم، وهي التي تسعدهم، وهي التي يستمتعون بها أكثر من استمتاعهم بلذة الحب نفسه.

فكأن قوة الحب إذن لا تنحصر في قدرته على البقاء، بل في قدرته على النظر إلى الأبد، ولو بضعة أشهر، أو بضعة أسابيع، أو بضعة أيام...

أما الشقاء الذي قد يعقب فناء الحب، فلا تهتم به الطبيعة، ولا يحفل به العشاق..

براقع الحب السبعة

سمعت امرأة من عامة الشعب عندنا تعرض بعاشق مفتون وتقول له إن الحب قد أسدل على عينيه «سبعة براقع» تحول بينه وبين رؤية معشوقته على حقيقتها ...

ولقد راعني هذا التعبير، فأنعمت النظر فيه، وفكرت فيما يمكن أن تكون تلك البراقع التي يسدلها القدر عادة على عيون العشاق.

وهذا ما اهتديت إليه:

الخيال –كل عشق لابد أن يتفجر من ينبوع الخيال، ولابد أن يتمثل في أذهاننا كوساطة نحقق بها حلمًا أو نقتنص بها طيف خيال.

فنحن نتصور فيمن نعشق جميع ألوان السعادة التي نصبو إليها، ومختلف ألوان الفضائل التي تنقصنا، وشتى ألوان الجمال التي نعجب بها وننشدها....

فكأن الحب في نظرنا خلاصة نعيم خارق، تجمعت في أون، وتركزت في وجه، واستقرت في إنسان.

فكيف يمكن أن تستوعب الطبيعة كل هذا الكمال، وكيف يمكن أن

يحقق إنسان، بالغًا ما بلغ من حبه لنا، كل ما نضفيه عليه من روائع التصور ومباهج الخيال؟ ...

ذلك هو البرقع الأول الذي يسدله القدر على عيون العشاق.

الغريزة –وأما البرقع الثاني فهو الغريزة الجنسية التي تضرم في أبداننا النار وفنحن لا نكاد نحب بخيالنا، حتى نشتهي بأجسادنا، فيأسرنا الخيال ويخدعنا، بينما تهب علينا ريح الغريزة وتعصف بنا.

وهكذا نتخبط بين الروح والمادة، بين القلب والجسد، أعجز ما نكون عن رؤية حقيقتنا، وحقيقة الشخص الذي أحببناه وملكناه قيادنا.

الغموض –هو البرقع الثالث الذي لا ينفك يحجب عن عين المحب وجه محبوبه منذ بدء العالم.

والواقع أن كل محب يؤخذ في مبدأ الأمر بما في شخصية محبوبه من غموض، وبما يكتنف هذه الشخصية الفذة الجديدة من ظلمات وأسرار. فكأن سحر الغموض هو الذي يجذبه، وسحر الظلام هو الذي يفتنه. فكيف تطلب إلى المحب إذن أن يكون راجح العقل، مشرق البصيرة، وهو يستعذب الحياة في الظلام ؟..

الغرور – لا يلبث الإنسان حين يشعر بعاطفة الحب أن يشعر بعاطفة الكبرياء ثم بعاطفة الغرور، ومتى انتابه الغرور، لم يغتر فقط بنفسه، بل بشخصية محبوبه أيضًا.

فالغرور يزين له أنه سيد العشاق وملك المحبين، والغرور يزين له أنه

إنما اختار لقلبه أجمل وأكمل مخلوق على هذه الأرض.

والعجيب أن العاشق يفرح بغروره، ويبذل قصاراه في تغذية هذا الغرور، فإن حاولت رده إلى صوابه اتهمك بالحماقة وراح يلتمس شتى الأدلة والبراهين ليثبت لك أنك لن تستطيع أن تفهم أو تقدر حقيقة شخصية من يحب، وهذا هو البرقع الرابع من براقع الحب.

الإيمان –وأما البرقع الخامس فهو الإيمان العميق بأن من نحبه يحبنا أكثر مما نحبه، ويخلص لنا أضعاف إخلاصنا له..

والغريب أن المحب قد يشعر في قرارة نفسه بأنه قد يزهد في محبوبه وقد يخدعه، ولكنه يأبى أن يسلم بأن هذا المحبوب قد بادله نفس الخديعة في يوم من الأيام.

ولا شك أن هذا الإيمان الساذج ينحدر من الكبرياء ويصدر عن عاطفة الغرور التي أشرنا إليها.

الغيرة – ما من عاطفة أفعل في التأثير في عقل المحب، وتشويش ذهنه، وإخماد ذكائه مثل عاطفة الغيرة. فحرصه الشديد على محبوبه يولد الغيرة في نفسه، والغيرة بدورها تولد الحيرة والقلق والخوف.

ومتى أحس الإنسان أنه يخاف أن يفقد شيئًا يعتقده ثمينًا، تحول بجهده كله إلى الدفاع عن هذا الشيء، لا إلى النظر فيه، ومعرفة ما إذا كان حقًا غاليًا وثمينًا، ويستحق منه أن يحرص عليه ويدافع عنه.

فرغبة الحرص هذه التي تولدها الغيرة، تسدل على بصر المحب

ستارًا كثيفًا من اللهفة والرعب.

وهذا هو البرقع السادس الذي يشعر بوطأته جميع العشاق.

الفرار من الواقع –أما البرقع السابع والأخير فهو الفرار من الواقع، وفيه تجتمع خلاصة كل أون وكل رمز حملته البراقع الستة السابقة.

فالمحب لا يحب إلا فرارًا من الواقع، وأملًا في تجديد الحياة وتجميلها. يحب فرارًا من الحزن والهم، من الفراغ والوحدة، من الشيخوخة والمرض، من التحرق والعذاب.

وكما يلجأ بعض الناس إلى الفن أو العلم تبرمًا بالواقع وتجديدًا وتجميلًا للحياة، كذلك يلجأ سواد الناس إلى الخيال والحب فرارًا من الواقع وتجديدًا وتجميلًا للحياة.

وما دام الواقع ينفر المحب فلا يجب أن ندهش لبراءته وسذاجته وثقته العمياء بمن أحب.

هذه في اعتقادي هي براقع الحب السبعة التي تختم على بصائر معظم العشاق، وتحول بينهم وبين رؤية حقيقة من يحبون. ولكن هل معنى هذا أننا يجب أن نعتبر الحب عاطفة وهمية خيالية تنم عن الضعف؟ كلا. فالحب مع ذلك قوة، قوة واقعية، وقوته كامنة في نفس ضعفه، أي في تعلقه بالخيال وتشبثه بالمثل الأعلى.

وهو قد يموت ويذهب ضحية هذا الخيال، ولكنه لو عاش وترعرع

وازدهر، يصبح القوة الوحيدة التي تستطيع أن تجعل من الخيال حقيقة، ومن الحياة جنة، فتبدع للناس في العواطف والأخلاق والأفكار، أنبل وأروع المثل العليا!

الحب يلهب الرجولة

قد يذل الحب أعناق أبطاله، ولكنهم متى انتهوا بالنصر استردوا بطولتهم، وصدرت عنهم أعظم فضائل الرجولة.

فالمرأة التي نحبها قد تتجنى علينا، وتعرض عنا، وتسومنا الخسف والهوان. ولكننا لو صبرنا وكافحنا، ثم فزنا آخر الأمر بتلك المخلوقة النادرة التي أذلتنا، فمما لا يقبل الريب أن هذا النصر لا يرد إلينا كبرياءنا فقط، بل يضاعف ثقتنا بأنفسنا، ويلهب فينا خصائص الرجولة، ويدفعنا إلى القيام بعظائم الأعمال.

فإذا كنا فقراء، هزأنا بالجوع وتحدينا القدر.

وإذا كنا أغنياء، افتننت عقولنا في البحث عن أشق السبل لإحراز أعظم ثروة.

وإذا كنا بلهاء، تفتقت أذهاننا واضطرمت فيها شعلة الفكر.

وإذا كنا كسالى، سرى الدم الحار في عروقنا، وأقبلنا على العمل بعزم الجبابرة.

وليس شك في أن غاية النصر على الحياة هي الظفر بالمال أو المجد، فمتى أحرز العاشق المال أو اكتسب المجد، ألقي به عند قدمي

حبيبته، مؤكدًا رجولته، مباهيًا بنصره الجديد، وهكذا يرضى قانون الحب وقانون الحياة، ويقدم قربان العمل لهيكل الحب وهيكل الحياة.

العاشق ينسى الموت

كل من يحب ينسى وجود الموت، ويتجه ببصره نحو الخلود، بل يؤمن في ذات نفسه ايمانًا خفيًا غريبًا بأنه قد خلد حقًا، وإن فردوسه أصبح على هذه الأرض.

لهذا السبب يمرح المحبون السعداء في هذه الدنيا كأنما هي قد خلقت لهم، وكأنما هي متاعهم الخاص، وكأن لا فقر فيها ولا جوع ولا مرض ولا موت.

ولهذا السبب نحن ندهش لهم ونستخف بهم، وتزعم أننا أكبر عقلًا منهم، في حين أننا نحسدهم، ونتمنى لو نصبح مثلهم، مخلوقات مبتهجة سعيدة ارتدت إلى عهد الطفولة، وبسطت سلطانها الروحي على هذه الحياة !..

لماذا لا يدوم الحب

يظل الإنسان –مهما أحس في حبه من سعادة – تاعسًا شقيًا، يوجس خيفة من المستقبل، ويخشى على حبه من خطر الموت والفناء.

فالحب في الحقيقة لا يعذب الناس بقدر ما تعذبهم فكرة احتمال زواله وانطفاء شعلته على مر الأيام.

فهم في غمرة سعادتهم يتساءلون:

هل يدوم الحب، وكيف يمكن أن يدوم، وهل الطبيعة تنكره أو أن الإنسان نفسه هو العاجز عن تحقيقه في صورة ثابتة رائعة لا يقوى عليها غدر الزمن؟..

هذا ما يحار الناس في فهمه، وما قد تهالكوا على تعليله منذ الأبد.

وعندي أن مثار تلك الحيرة وذلك العذاب يرجع إلى اعتقاد معظم الناس أن الحب جوهر مستقل بنفسه، ولكن الحب عاطفة تنبع من داخل الإنسان لا من خارجه. وهي مقيدة به، وثيقة الارتباط بشخصيته، ومن المحال أن تدوم إلا إذا كان عنصر الدوام والاستمرار متوافرًا في الشخصية التي تحمس بها. وعنصر الدوام هذا هو الأخلاق.

فإذا كان المحب فظًا غليظًا، أو أنانيًا مستبدًا، أو كاذبًا منافقًا، أو خبيثًا شريرًا، جردته أخلاقه ولا ريب من سحر عاطفته، وولدت الكراهية بينه وبين محبوبه، وأجهزت آخر الأمر على سعادته، وقتلت حبه من حيث لا يدري.

وإذا كان رقيقًا وديعًا، صادقًا صريحًا، مخلصًا وفيًا، طيبًا كريمًا، تغذت عواطفه من طبعه، وأثرت أخلاقه في شخص محبوبه، واستمد قلبه من فضائله قوة في وسعه أن يذود بها عن حبه ويضرم فيه نارًا لا تخبو.

فنحن الذين بأخلاقنا نقتل الحب أو نحييه، نلهبه أو نخمده، نسعد به أو نشقى أبد الدهر. فأخلاقنا هي التي تكون شخصيتنا، وهي التي تكون حبنا الذي هو جزء أصيل من شخصيتنا ...

وكما أننا بوساطة أخلاقنا نكتسب عطف الناس أو نستفز عداءهم، كذلك نحن بوساطة أخلاقنا نكتسب ثقة من نحب أو نستفز بغضه فنفقده ونفقد الحب.

لا تتزلف إلى قلبك إذا أردت أن تشعر بعاطفة الحب شعورًا قويًا عميقًا، فإياك أن تفكر فيها، وإياك أن تطلبها، وإياك أن تسعى إليها. وأعلم أن قوة الحب يجب أن تفرض عليك فرضًا، وتغزوك غزوًا، كي تقدر قيمتها، وتحس فضائلها، وتخلق بوساطتها خلقًا جديدًا رائعًا.

فلا تتزلف إلى قلبك، ولا تركع أمام حلمك، ودع الحب يأت إليك، وإلا فعش بدون حب، فهذا أجدى عليك من حياة تخدع فيها نفسك، وتنفقها في مداعبة الوهم ومراودة الخيال.

الحب الشرقي

ما يزال الحب في نظر معظم الشرقيين رغبة مادية محضة، يحاول الفرد أن يسترها بالعواطف، ويستعين بالعواطف على تحقيقها.

فالشرقي في الغالب إنسان حرمته التقاليد أجيالًا من نعمة الاتصال الاجتماعي بالمرأة. إنسان مضطرم الغرائز مشبوب الحواس ولا يكاد يعجب بامرأة حتى يشتهيها، ولا يكاد يشتهيها ويصطدم بخوفها وحيائها، وكبرها وتمنعها، حتى يعمد إلى اصطناع الحب، واصطناع العاطفة، بغية التأثير فيها والتمكن منها والظفر بها.

فالرغبة المادية هي الأصيلة في نفسه، أما العاطفة الروحية فدخيلة

عليه، يستخدمها كوساطة فقط، وسرعان ما يستغنى عنها متى حققت له غرضه المادي المنشود.

وهذا هو السر في خلو معظم أشعارنا الغزلية وجميع أغانينا الشعبية من تلك العواطف الروحية الخالصة التي تربط بين قلبين، وتوحد بين جسمين في عالم مثالي يجوز محيط اللذة، ويقهر بالحب الوفي العميق تقلبات الفطرة ونزوات البدن.

فالعاشق ينوح ويبكي، ويتضرع ويتوسل، ويتأوه ويتحرق، ويمثل العاطفة المعذبة الوالهة جهد المستطاع، حتى إذا ما أخذت المرأة بسحره، واطمأنت لصدقه، وآمنت بوفائه، أو خيل إليها أنه يحبها حقًا بقلبه، أرتد فجأة إلى طبيعته، وانقلب في لحظة من عبد إلى سيد ومن عاشق إلى مستمتع، تسوقه الفطرة الغاشمة، وتدفعه اللذة العابرة، وتخمد في صدره كل ما كان لهج به من عواطف الحب الثابت القوي العظيم.

ولقد ترتب على تأصل هذه النزعة المادية في الحب عندنا، أن فسد الحب نفسه، وعطل من جماله، وتجرد من فضائله، وأقفر من شعره، واستحال إلى ضرب مروع من الكذب الشائن والخديعة النكراء.

فالرجل يكذب، والمرأة تعرف أنه يكذب، وكلاهما يعرف حق المعرفة أن الهدف هو الشهوة، وأن كل ما عدا الشهوة هو في الواقع محض لهو وعبث ونفاق.

فلكي تعيش عاطفة الحب في قلوبنا، وتهذب غرائزنا، وتلطف شهواتنا وتعلمنا فضائل الصدق والوفاء، يجب أن نعني قبل كل شيء

بتربية حياتنا الروحية.

وما الحياة الروحية إلا فكر وثقافة وأخلاق، يتألف منها عقل وقلب وضمير، فمتى وسع الفرد آفاق تفكيره، وضاعف من قوة ثقافته، وحرص على نبل أخلاقه، استيقظ فيه العقل والقلب والضمير، فاستطاع متي أحب أن يغلب في الحب عنصر الروح على عنصر المادة، وأن يحس في الحب أنه قد تحرر من ضعفه، وتحكم في طبيعته، وأصبح بفضل هذا التفوق والسمو خليقًا بأن يكون إنسانًا!

العذارى في دنيا الحب

الحب عند العذارى

إن قلب العذراء أشبه بزهرة مضمومة الأكمام تود أن تتفتح على كل ما في الحياة من مباهج المادة ومفاتن الروح.

فالعالم يبدو لها في صورة شائقة الحسن باهرة الرواء. وخيالها يلقى في روعها أن في مقدورها أن تظفر بهذه الصورة، وأن تجعل من وهم الشباب حقيقة واقعة.

فالثقة بالناس، والثقة بالحظ، والثقة بالرجل، عوامل تملأ قلب العذراء فرحًا، وتملأ خيالها شعرًا، وتملأ نفسها شجاعة وسيرًا وأملًا.

وهذا الأمل العميق المقرون بالثقة الساذجة، هو الذي يضفي على العذراء سحرها، ويغري الرجل بها، ويختم في الغالب على بصرها فيحول بينها وبين معرفة نفسها، ومعرفة نيات الرجل الذي يطارحها الحب ويمنيها بالزواج.

والعذراء لا تكاد تسمع بالزواج حتى تبهر، ولا تكاد توعد بالزواج حتى تصدق، ولا يكاد يعللها الرجل بالزواج حتى ينتابها الضعف، ويعتريها من فرط الأمل والرغبة شبه دوار.

فالمعركة بينها وبين الرجل كالمعركة بين من ألف الحرب. وبين من يهبط ساحة القتال لأول مرة.

فالمكر والحيلة والقوة من ناحية، والقلق والسذاجة والضعف من ناحية أخرى. وذلك هو عنصر الفتنة عند الرجل في إغواء العذارى، إذ ليس أبلغ في نفس الرجل العابث المستهتر القاسي، من رؤية الضعف يتخبط بين يدي القوة، عاجزًا يائًسا مستصرخًا، لا يحذق غير فن البكاء، ولا يستطيع عن نفسه دفاعًا.

فقوة الرجل لا يمكن أن تقاوم إلا إذا قوبلت من العذراء بقوة مثلها وما من قوة يمكن أن تحمي عذراء غير قوة العلم وقوة الحرية. فبالعلم تفهم العذراء نفسها، وتفهم الرجل، وتفهم الحياة، وبالشعور بالحرية تقدر كرامتها، وتقدر مسؤولياتها، وتكتسب مناعة أخلاقية، تضاعفها التربية والثقافة رسوخًا وتأصلًا.

بين الرغبة الحسية والحب

إن أكبر خطر تستهدف له الفتاة الغريرة عندما تتصل بالشبان، هو أنها لا تستطيع أن تفرق بين حب الشاب لها ورغبته الحسية المجردة فيها.

فهي لجهلها بالحياة، وجهلها بطبيعة الرجال، تخلط بين العاطفة الروحية الصادقة، وبين الرغبة الحسية العارضة، فتعتقد أن الرغبة العنيفة دليل عاطفة وحب، كما تعتقد في معظم الأحيان أن العاطفة الخالصة عنوان تردد وفتور وضعف.

والفتاة لفرط إحساسها بنضرة شبابها، وروعة فتوتها، لا تملك السيطرة على شعور الكبرياء الذي يثيره في نفسها إعجاب الشاب

بجمالها ورغبته الحسية فيها.

وهكذا تؤخذ الغريرة في فخ الطبيعة وفخ الكبرياء، وتتوهم أن نداء الجسد هو نداء القلب، وأن التلهف على الجسد هو الدليل على صدق عاطفة الحب.

لذلك يتحتم على الوالدين أن يراقبا في حزم مسلك فتاتهما وأن يحاولا في لياقة إماطة اللثام عن عينيها، خشية أن يعصف بها الجهل والكبرياء، فتحسب الرغبة الحسية حبًا، فتنساق وتندفع وتزل بها القدم.

الاختلاط المحتشم

نحن نقيد العذراء، ونحرص عليها كل الحرص، ونبقيها في البيت ما استطعنا. ثم نطلق للشاب حريته الكاملة، فتظل العذراء جاهلة بأخلاق الشاب، ويظل الشاب جاهلًا فتنة العذارى، يسمم أخلاقه وعواطفه اتصاله الحر بالغواني.

فعاطفة الشاب لا يمكن أن تسمو إلا في ظل عذراء، وفكر العذراء لا يمكن أن يتنبه ويتيقظ ويدرك الحياة إلا في ظل الشاب.

وإذن فاختلاط الجنسين لابد منه، انقاذًا للشاب والفتاة، وتمهيدًا للزواج الصالح، وتكوينًا للمجتمع السليم.

ولكن الاختلاط إن لم يتم في دائرة الرقابة وفي حدود الحشمة وبعد تخير المهذبين من الشباب. انعكست آيته، واستحال إلى عامل من شر عوامل الإباحة والإفساد.

أول صدمة نفسية

إذا استباح شاب لنفسه أن يغرر بعواطف عذراء، تركت هذه الصدمة النفسية في شخصية الفتاة أثرًا لا يمحى.

فخيبة أملها في حبها الأول، تلهب غرائزها، وتسمم أخلاقها، وتدفعها بالرغم منها إلى النار لحظها من الرجل البريء الذي يمكن أن يصبح فيما بعد زوجًا لها..

خطر الزوجات على العذارى

قد لا يفسد العذراء شاب مستهتر بقدر ما تفسدها زوجة سيئة السلوك.

فالزوجة هي قدوة العذراء، واتصال العذارى بزوجات فاضلات أفعل في تهذيب نفوسهن من مختلف ضروب الوعظ والارشاد.

واجب الأمهات

لا يمكن أن تتصور الأمهات مبلغ ما تحدثه المنازعات الزوجية السافرة من تأثير وبيل في نفوس بناتهن.

فالبنات كالعدسات يلتقطن كل ما يقع في البيت، ويسجلن على أمهاتهن وآبائهن كل مشادة وكل نزاع.

فالأم الحكيمة هي التي تكبح نفسها، وتكبح زوجها، ولا تثير أي نزاع زوجي على مرأى ومسمع من بناتها. إذ كل نزاع سافر يقع بين الأب والأم، يلوث نفس الفتاة، ويشوه في ذهنها صورة الأسرة المثالية التي

كانت تعتقد أنها أسرتها، والتي كانت تود أن تشيد أسرة ثانية على غرارها.

زوجة وعذراء

إن كيان العذراء البكر الطاهرة هو الذي أوحى الفضائل إلى الناس، وجرد الغرائز من سلاحها وعلم الإنسان معنى الشهامة وغرس في قلبه زهرة الواجب.

والحق أنك لا تحب اليوم زوجتك إلا بقدر ما يكمن فيها من فضائل العذراء، ولولا فضائل العذراء التي تخلفت في نفس زوجتك، لعافها قلبك، وانصرفت عنها ومضيت تبحث بالرغم منك عمن تستطيع أن تكون امرأة وزوجة دون أن تفقد الكثير من سحرها القديم كعذراء.

المرأة والرجل تجاه الحب

الحب عند المرأة البدائية

يمثل الحب الحسي المادي في نظر المرأة البدائية الجاهلة غاية الحياة. فهي لا تفكر إلا فيه ولا تسعى إلا إليه، ولا تستطيع أن تتصور أن في مقدورها أن تعيش بدونه إلا إذا استطاعت أن تتصور أن في وسع الزهرة أن تعيش محرومة من الماء والهواء والنور. فهذا الحب الحسي المادي يتخذ في ذهن المرأة البدائية صورة العاطفة المطلقة، واللذة المجردة، فيحتل خيالها وهي فتاة، ويسيطر على عقلها وهي زوجة ويملأ مشاعرها بمختلف عوامل الأسف والحسرة والحنين عندما تنحدر بها الأيام إلى وهدة الكهولة، وتلمع في رأسها فجأة أول شعرة بيضاء. فكأن الحب الحسي عند المرأة البدائية هو نشوة جنون، تستولي عليها في جميع أطوار حياتها وتأبى ألا أن تطوعها لمشيئتها، وتخضعها لسلطانها، وتوجه إرادتها وعقلها وجهة واحدة، وتختم في الغالب على بصيرتها، وتحول بينها وبين الاهتمام بشتى ألوان الفكر والعاطفة التي تزخر بها الحياة.

ولا ريب في أن هذا الجنون، جنون الظمأ الدائم إلى الحب الحسي، باعتبار أنه مدى الحياة، ورمز السعادة، والغاية الوحيدة العظيمة الخليقة بأن تعيش من أجلها النساء، هذا الجنون، هو الذي يفصل بين الرجل والمرأة، وهو الذي يباعد بين الرجل والمرأة. وهو الذي يجعل من

حياة معظم النساء ومعظم الرجال سلسلة متصلة من عذاب.

فالرجل ينظر إلى العالم، والمرأة تنظر إلى نفسها. والرجل يؤمن بالعالم، والمرأة لا تؤمن إلا بحواسها، والرجل يستنكران أن يكون مجنونًا وأن يجمع الحياة كلها في لذة واحدة ولون واحد، والمرأة تعبد هذا الجنون وترى فيه نعمة العيش ومتعة الدنيا!..

وإذن فكيف يمكن أن نوفق بين الجنسين تحقيقًا لما ينشدان من سعادة؟

كيف يمكن أن نوفق بين روح الإحاطة والشمول عند الرجل وبين أزمة الانطواء والانكماش عند المرأة؟

كيف يمكن أن نؤلف بين عقل الرجل الطامح إلى معرفة كل شيء، وعقل المرأة البدائية الذي لا يطمع إلا في أن يضع الحب المادي فوق كل شيء ؟.. الواقع أن هذه هي مهمة التربية والثقافة والتعليم. فالمرأة تظل أنثى فقط، محكومة بفطرتها، مسوقة بغريزتها، مجنونة بالحب في صورته الحسية المجردة، حتى تتعلم وتتثقف وتتحضر، فتسمو نظرتها إلى الحب، وتصبح أوسع أفقًا، وأبعد غاية، تشترك في تكوينها شتى العوامل التي تؤلف شخصية الإنسان الطبيعي وشخصية الإنسان المتحضر، أي العوامل الجنسية والعوامل العاطفية والعوامل الفكرية.

فالتعليم يمكن الرجل من محاولة التطلع بفكره إلى مختلف شؤون الحياة، والتعليم يمكن المرأة من تهذيب نظرتها إلى الحب كي تتاح لها فرصة مشاركة الرجل في فهم وتوجيه الحياة.

ونحن في الشرق مازلنا ننفر من تعليم النساء، وما زلنا نكره المرأة المثقفة، وما زلنا نخشى الزواج بالفتيات المثقفات، زاعم أنهن متكبرات متحذلقات ثرثارات، مشاغبات، قد جردهن العلم من سحر الأنوثة، وأحالهن الفكر إلى أشباه رجال.

ولكن إشعارنا المرأة بنفورنا من عقلها، واحتقارنا فكرها، واستخفافنا بعلمها وثقافتها، هو الذي يضاعف من حدة غرائزها، ويطلق العنان لشهواتها، ويبقيها مغلولة في سجن فطرتها، لا تؤمن بغير الحب الحسي المادي، ولا تستطيع أن تتحرر من جنونه الخطر المروع.

وهكذا تبتعد المرأة منا، وتنفصل عنا، وتحتقر بدورها أفكارنا ونزعاتنا وشواغلنا، فنستفيق بغتة وإذا بنا في بيوتنا، وبالقرب من نسائنا نعيش في عزلة روحية خانقة، تقتل فينا كل سعي إلى التفكير، وكل رغبة في العمل، وتدفع بنا إلى هجر بيوتنا، والفرار من نسائنا، والتشرد في الشوارع والمقاهي.

فالمرض الذي يهدد حياتنا الزوجية وحياتنا الفكرية كامن في نظرية الرجل إلى المرأة باعتبارها قبل كل شيء أنثى، فهو يطلب إليها أن تظل أنثى، ثم يضجر ويسأم ويتألم عندما يراها أمامه لا شيء غير أنثى.

وليس من شك في أنه هو المسؤول عن شقائه. إذ عليه أن يختار شريكة لحياته لأمتعة لجسده فقط. عليه أن يقدر في المرأة نسبة تعليمها، ويقدر درجة ثقافتها، ويشجعها على التفكير ويغريها بالمعرفة، ويلهب فيها شعلة العقل، وعندئذ تتحرر المرأة من ربقة جنونها، وتحس

أن في العالم أشياء غير اللذة، وغير الشهوة، وغير الأنانية، أشياء عظيمة جديرة بأن تشارك الرجل في الاهتمام بها، حرصًا على كرامتها، وحرصًا على زوجها، وترضية وامتاعًا للجانب الروحي من نفسه ومن نفسها.

ومتى بلغت المرأة هذا الطور من الرقي، عرفت كيف توفق بين عقلها وقلبها، بين فكرها وأنوثتها، بين غريزة الحب الكامنة فيها وبين الاهتمام العميق بكل ما يشغل الرجل من شؤون الحياة الكبرى.

المرأة في أدبنا القديم

إن أدبنا القديم ولا سيما أدبنا الشعري يؤثر في نظرتنا إلى المرأة أعمق تأثير.

فالمرأة عند معظم شعرائنا أنصار المدرسة القديمة هي أنثى قبل كل شيء. أنثى من حيث الجمال، وأنثى من حيث الخلق، وأنثى من حيث العقل. ومادامت أنني فقط فهي مثار متعة، وهي وسيلة من وسائل المرح والتفريج عن النفس ونسيان الحياة وهي في نظرهم كالخمر يذوب فيها العقل وتفنى الشخصية. وهي عندهم كالغناء الشرقي، طريق لإثارة الأعصاب وإلهاب الحواس. والتحلل من قيود العرف وآداب المجتمع.

لذلك يجمع أولئك الشعراء بين المرأة والخمر والغناء في وحدة فنية ترمي إلى الفرار من الحياة الواقعة بوساطة الاحساس بأقوى اللذات مجتمعة.

فمحاولة الفرار من الحياة على أجنحة اللذة هي ما تنشده تلك

الطائفة من الأدباء والشعراء في المرأة، لا محاولة التغني بما توحيه في ذهن الرجل وقلبه من عواطف وتأملات، وأخيلة مصدرها النفس والروح.

والواقع أن هذه النزعة الشعرية القديمة ما تزال حية في نفوسنا، متغلغلة فينا، تسوقنا بالرغم منا إلى اعتبار المرأة متعة للحواس، فتؤثر لا في ميولنا وأهوائنا الأدبية فقط، بل في حياتنا الزوجية نفسها.

فالتسامي بشخصية المرأة في دائرة الفكر والأدب، هو الذي يدفعنا إلى التسامي بها في محيط الحب والزواج.

حب المرأة من وحي الرجل

مهما عشق الرجل وتدله فهو لا يمكنه أن يقدر الحب كما تقدره المرأة.

وقد يكون الرجل أقوى في عشقه من المرأة، وأعنف ميولًا، وأحد عواطف، وأوفر جرأة وعزمًا، ولكن المرأة على ضعفها الفطري تظل أقدر منه على الثبات والوفاء والإخلاص والتضحية.

والواقع أن ضعف المرأة يحمل من فضائل القوة ما يعجز عن حمله أقوى الرجال خلقًا، وأكرمهم نفسًا، وأصدقهم عاطفة وهوى.

فالمرأة لفرط إحساسها بضعفها العضوي، وعفتها الوراثية، وخوفها من المستقبل، لا تنشد في الحقيقة غير رجل واحد، ولا تود أن تحب وتخلص إلا لرجل واحد، يرعاها ويحميها ويحرص على مستقبلها ومستقبل أبنائها بحيث تستطيع أن تعيش في دائرة الأسرة مكفولة

الاحترام موفورة الطمأنينة والأمن.

فإذا أحبها الرجل حبًا منزهًا عن الأنانية، وشاركها مختارًا في حمل مسئولياتها، وساواها بنفسه في شتى الحقوق والواجبات، ازدهرت شخصيتها، وتألقت فضائلها، واتقد فيها ضرب من الحب والولاء والحنان قد يسمو بقلبها وعقلها إلى حد العبقرية.

فالمرأة لا تنشد الحب لنفسها فقط بل للغير أيضًا. لا تنشد الحب إلا وهي تنظر إلى مصلحة الأسرة. أما الرجل القوي الأناني، فكثيرًا ما ينشد اللذة متوهمًا أنها الحب، وكثيرًا ما يتبع اللذة فرارًا من واجب الحب، وكثيرًا ما يؤثر لذته على مصلحة امرأته ومصلحة أفراد أسرته جميعًا.

فحب المرأة والحالة هذه هو رجع صدى حب الرجل، هو صورة منعكسة من فكره، وفيض مستمد من قلبه، ومثل حي لشخصيته وإحساسه، فإذا أخلص الرجل في حبه أخلصت المرأة له، وإذا كان قدوة في حياته اقتدت المرأة به، وإذا كان نذلًا غادرًا، قابلته المرأة غدرًا بغدر وعبثت به وتفوقت عليه.

والحق أن المرأة لا تخدع إلا مدفوعة بعاملين رئيسيين: نقص الحب في الرجل ونقص الذكاء. فأما النقص في الذكاء فقد تحتمله أو تحاول أن تهذبه، وأما النقص في الحب والرعاية والاهتمام فهو شر عليها من المرض والفقر، لأنه يمثل في نظرها فراغ القلب، وفراغ القلب معناه الموت، والمرأة لم تخلق إلا لتبدع الحياة، وتبدع الجمال، وتنتصر بالحب على الموت!

عبقرية الرجل وعبقرية المرأة

قد يجد الرجل سعادته في هبة نفسه للعلم أو الأدب أو الفن أو السياسة، أي لأشياء عقلية تجريدية لا ترى.

أما المرأة فتجد سعادتها في هبة نفسها الزوج والطفل، أي لمخلوقات حية تشعر أنها جزء من كيانها، وقطعة من لحمها، وتستطيع أن تراها، وتقبلها، وتخدمها، وترد عنها أخطار الحياة وغوائل الموت.

فعبقرية الرجل مثالية تصدر عن العقل. أما عبقرية المرأة فعملية حسية تصدر عن القلب. لذلك تنفر المرأة من الواجب العقلي المجرد، وتقبل عليه ملهوفة متى صدر عن العاطفة ونبع من القلب.

عندما تحب المرأة

عندما تحب المرأة حبًا خالصًا، يخلق الحب من حولها جوًا طاهرًا نقيًا، يحميها من كل المغريات.

فالحب وحده يشعرها بضرورة احترام نفسها، وصيانة عرضها، والضن بمحاسنها الا على الرجل الذي منحته قلبها.

فالفضيلة عندها تنبع من فرط الحب، كما أن الرذيلة تصدر في الغالب عن حاجة عميقة الى الشعور بالحب.

ومتى عرف الرجل كيف يجتذب المرأة، وكيف يعطف عليها، ويخلص لها، ويوحي إليها الحب، أينعت شخصيتها، وازدهرت عواطفها، وأصبحت فاضلة وشريفة من تلقاء نفسها.

المرأة والمرآة

عين المرأة تلحظ الظواهر ولكنها لا تستطيع أن تنفذ إلى الأعماق، وكلما كانت الظواهر براقة خدمت بها المرأة واستسلمت لها. فالمرأة كمرآتها تمامًا تهمل الحقائق وتسجل في دقة غريبة مظاهر الأشياء ...

الإسراف في الحب

من النساء من يعتقدن أن الإسراف في الحب يلهب الحب. ولكن هذا الإسراف هو أبغض شيء لدى الرجل، فالرجل يسرف في العواطف في مبدأ الأمر، غير أنه متى أمتلك المرأة صبت نفسه إلى الاعتدال في عواطفه ليستطيع أن ينصرف إلى ما هو في نظره أهم من الحب.

فكل امرأة تحاول أن تجعل من الحب غاية الرجل، هي امرأة حمقاء سرعان ما تقتل الحب وتقتل الرجل.

ملائكة وشياطين

النساء لا يعرفن الحد الوسط، فهن أما فاضلات الملائكة وأما شريرات كالشياطين. وحيث أنه ليس في وسع الرجال أن يكونوا ملائكة أو شياطين على طول الخط فالنساء أقوى منهم. أقوى منهم في الفضيلة والخير كما هن أقوى في الرذيلة والشر.

من أين ينبع سحر المرأة؟

قد تكون المرأة جميلة ولكنها لا تكون ساحرة. إن الجمال هبة الطبيعة ولكن السحر ينبع من القلب والعقل. وسحر المرأة لا يصدر عن

الخلاعة، ولا عن الخفة ولا عن روح الفكاهة. بل يصدر من أشياء عديدة بسيطة، يبهت لها الرجل في مبدأ الأمر، ثم لا يلبث أن يؤخذ بها، ويخضع صاغرًا أمام فتنتها.

فالسحر الأنثوي هو الابتسامة الروحية اللطيفة التي تومض في النظرة، وتبرق في الجبهة، وتلمع في اللفتة، وتزهر في الشفتين الرقيقتين، هو الصوت المتزن، والوضع المحتشم، والحركة الهادئة، والنبرة الصادقة، والخفر العميق.

السحر هو الدماثة والعذوبة، والأدب والكياسة، والحنان والطيبة، والتواضع والرقة، والذكاء الذي يعرف كيف يكون رائعًا، وكيف يوفق بين واجب التحفظ، وبين الشعور بالحرية.

هذا هو السحر الأنثوي الذي يفوق تأثيره كل جمال شائع، لا لأنه ينبع من القلب والعقل فقط بل لأنه يدل أبلغ الدلالة على تفوق الأخلاق وامتياز الشخصية.

ومتى استطاعت المرأة أن تؤكد شخصيتها، وتمتاز، بفضل هذا السحر المعنوي، من أترابها، فقد خلعت على نفسها ولا ريب جمالًا أثمن ألف مرة وأبقى من ذلك الجمال الحسي الذي لا يعجب به الرجل إلا ميقات ما يستمتع به كي ينصرف عنه.

متى تحبك المرأة ؟..

إذا كانت المرأة قد أحبتك، وأيقنت من حبك لها، ثم تبدلت

وتحولت، وشعرت فجأة بميل نحو سواك، ثم أبصرتك نبيل النفس، عالي الهمة، متأهبًا لإنكار ذاتك في سبيل إسعادها مع خصمك وغريمك، إذا خامر المرأة مثل هذا الإحساس من نحوك فإنها تحتقرك، وتطعنك في صدق حبك، ولا تقدر تضحيتك، وتتهمك بنقص في الرجولة، وضعف في الكرامة، ثم تعرض عنك، وتسرف في التقرب إلى غريمك على حساب نبلك وسمو عواطفك...

فهي تطلب إليك أن تتشبث بها ما استطعت، وتغار عليها جهدك، وتقاوم وتناضل للاحتفاظ بها، فإن لم تفعل فأنت في نظرها رجل مسلوب الحول، مهتوك الرجولة، لا تعرف كيف تحب، ولا تستحق أن تكون محبوبًا...

الحواس والفكر

إذا انصرف رجل عن امرأة كان يحبها، استخدم قوى إرادته لينساها. ففكر فيها بالرغم منه وتألم. أما إذا انصرفت المرأة عن رجل كانت تحبه، فهي لا تفكر فيه إطلاقًا بل تنسلخ عنه فجأة كأنها لم تكن له ولم تعرفه أبدًا، وذاك لأن حب المرأة أقرب إلى الحواس، أما حب الرجل فأقرب إلى الفكر.

المرأة تحب الملق

المرأة تحب الملق ولا تستطيع أن تكتم إعجابها بالمتملقين. وكل رجل يعرف فيها هذه النزعة ويحاول أن يستغلها في خبث ودناءة ونفاق. فلكي تحرص المرأة على شرفها يجب أن تضع عقلها فوق أنوثتها،

بحيث لا تخدعها مظاهر الزلفى ولا يضطرها ملق الرجال إلى النظر إلى نفسها من نافذة غرورها.

الخوف من الرجل

قالت لي إحدى السيدات:

إن شقاءنا نحن النساء كامن في خوفنا الدائم من الرجل.

ونحن لا نخاف الرجل لأنه قوي أو ذكي، بل نخافه لأنه في صميم نفسه إنسان جاحد لا يعرف الشكر ولا يفهم عرفان الجميل.

فهو يحبنا بكل قواه، ويسعى وراءنا جهده. فلما نهبه أعز ما لدينا، يسخر بنا ويعرض عنا، أو يعتقد في وقاحة أن هذه الهبة كانت حقًّا له، وأنه هو صاحب الفضل علينا …

ولكن المرأة لن تحب مثل هذا الرجل الجاحد أبدًا، وهي إذا تعلقت به، فلكي تحتال عليه حتى يخضع لها ويقدر هبتها. وإلا فهي تثأر منه، ولو كلفها هذا الثأر شرفها وحياتها.

وعندي أن المرأة لا تحس معنى الشرف والوفاء، إلا متي أحست من الرجل الذي وهبته نفسها، عواطف التقدير والشكر وعرفان الجميل.

عندئذ يزول خوفها. فلا تحب هذا الرجل فقط، بل تمجد فيه شهامته التي أيقظت فيها كرامتها وكبرياءها.

حظ المرأة

المرأة سيئة الحظ جدًا من الناحية النفسية. فهي لا تستطيع أن تطمئن الي صداقة المرأة ولا تستطيع أن تطمئن إلى حب الرجل.

فصديقتها تغار منها، وتحسدها، وتعرض بها، وربما لا تجد غضاضة في أن تسلبها زوجها أو حبيبها.

أما الرجل فلا يؤمن جانبه لفرط ما طبع عليه من حب النعم والأنانية. فالمرأة إذن محرومة من نعمة الطمأنينة في الحب، ومن نعمة الطمأنينة في الصداقة ...

وهذا الحرمان يولد في نفسها الحذر. الحذر من الرجال والنساء جميعًا.

وما دام الحذر مادة حياتها، فهي مضطرة أن تعيش في قلق دائم، وخوف مستمر، وشبه وحدة نفسية تشقيها وتعكر عليها صفو كل هناء.

ولكن هذه الوحدة النفسية هي التي تدفعها إلى الثبات والكفاح، وهي في الواقع مبعث ذكائها وسر قوتها!

الحب العنيف لا يجدي

كل امرأة تحب في عنف، وتتخذ عواطفها مظهر العنف لابد أن يزهد فيها الرجل ويسأمها. ذلك لأن الرجل يحب في شخصية المرأة عذوبة الرقة، وفي قوة حبها حلاوة الحنان.

مناورات المرأة

كثيرًا ما تخفي قوة المرأة حيال الرجل رغبة عميقة في الشعور بالضعف أمامه، وكثيرًا ما يخفي تكبرها على الرجل حاجة شديدة إلى حبسه، تسترها بكبريائها لتمتحن قوته، وتشجعه من طرف خفي على القيام بالخطوة الأولى..

النحيفة والبدينة

يخيل إلى أن المرأة النحيفة هي التي توحي الحب، أما المرأة البدينة فقد لا تستطيع أن تثير غير الشهوة.

والفارق بين تأثير المرأتين يرجع إلى تعدد ألوان السحر في الأولى، واقتصاره في الثانية على لون واحد.

فالقامة المشوقة، والبدن اللين، واللفتة الرشيقة، والحركة الوثابة، والحيوية الناصرة، كل هذه ألوان تجذبنا إلى المرأة النحيفة لأنها تعبر باختلافها الرائع عن مختلف ألوان الصحة والقوة والشباب الماثلة في الحياة الكبرى.

أما المرأة البدينة فلا لون لها في الغالب غير لون الشهوة. والشهوة نقيض العاطفة والقوة والحياة والاستمرار. إذ هي نزوة عارضة لا تكاد ترتوي حتى تموت.

المرأة وفكرة الموت

إن جذور المرأة راسخة في أرض الحياة، وفكرة الموت لا تخالج

ذهنها أبدًا. وكل ما يشغل بالها هو أن لا يموت حبها في قلب الرجل الذي تهواه..

ثلاثة تكرههم المرأة..

ثلاثة رجال تكرههم المرأة: المخنث والمغرور والغبي. فهي تكره المخنث لأنه يزاحمها، والمغرور لأنه يقلدها، والغبي لأنه لا يستطيع أن يفهم لماذا تخدعه...

الأمومة المشروعة

كل حب يظل في نظر المرأة ناقصًا حتى تباركه الأمومة المشروعة، وهذا هو السر في أن المرأة لا تشعر بالسعادة المطلقة في الحب المحرم أبدًا.

الحب والانتقام

على قدر حب المرأة يكون انتقامها، إذ المرأة لا تحب إلا في سيل غامر من التضحية.

فكل تضحية تبذلها، تضاعف في قلبها الحب، وتضاعف في نفسها، عند الخيانة، شعور السخط وعاطفة الانتقام.

فلا تتورط في حب امرأة تحبك إلا إذا كنت واثقًا من أنك أنت أيضًا تحبها، وإلا فأعلم أن كل ما تبذله هذه المرأة من أجلك محسوب عليك في يوم من الأيام ...

خطر الإغراء على المرأة الجاهلة

المرأة الواثقة من نفسها ومن شرف خلالها، هي امرأة تنبع فضيلتها من التعليم الذي يهب الفكر إدراكًا واعيًا، ومن التربية التي تهب الإرادة قوة متنبهة، ومن الوسط الطيب الذي يهب النفس شعورًا متأصلًا بالكرامة والعزة.

على أن المرأة الجاهلة الناقصة التربية التي نشأت في الوسط الطيب قد تكون امرأة فاضلة، ولكنها في الحقيقة لا تظل فاضلة إلا لأنها لم تجرب قواها، ولم تصطدم في حياتها بظروف يمكن أن تولد في نفسها رغبات جامحة جديدة غير تلك الرغبات الهادئة المشروعة التي ألفتها.

أمثال هذه المرأة الجاهلة لابد أن تضعف، ولابد أن تعجز عن المقاومة تجاه أول صدمة عنيفة من صدمات الإغراء أو الهوى. وهي تشبه الجسم القوي السليم في مظهره، الذي لم يشك أبدًا أي ألم، والذي لا يكاد يهاجمه مرض من الأمراض حتى يتصدع فجأة ويترنح، ثم ينهار دفعة واحدة.

نظرة الرجل إلى الحب

كل ما في كيان المرأة يحدثها عن الحب. وكل ما في كيان الرجل يحدثه عن العمل والجهاد وهذا هو السر في أن الحب في نظر المرأة غاية وفي نظر الرجل وسيلة أو متعة أو راحة.

الدميمة والجميلة

قد تستطيع المرأة الدميمة أن تثير في الرجل حبًا لا تقوى على إثارته حسناء رائعة الجمال، ذلك لأن الشعور بالنقص يلهب في المرأة عبقرية الأنوثة. أما الاحساس بالاكتمال فقد لا يولد في نفسها غير الحماقة والغطرسة والغرور.

إذا منحتك المرأة قبلة..

إذا منحتك المرأة قبلة فإياك أن تعتقد أنها قد منحتك الحب.

أن مثل هذه الأشياء عظيمة القيمة عند الرجل ولكنها عند بعض النساء لا تساوي أكثر من ضحكة ...

كفاح الرجل

إذا سعت المرأة إلى الرجل ازدراها، وإذا تحفظت وترفعت قدرها، واستعذب الكفاح للفوز بها.

فلذة الكفاح عند الرجل يجب أن تسبق لذة الحب، ومتى كافح وتألم وانتصر، فكبرياء النصر هي التي تهيئ قلبه للحب، وهي التي تدفعه إلى الحرص على المرأة التي مثلت في ترفعها، كل ما كابد القلب والعقل من عذاب في سبيل الظفر بحبها ...

الرجل والغواني

الرجل يكره في الرجل غرابة الشكل وشذوذ المظهر. ولكن هذا الشذوذ هو الذي يجذبه إلى المرأة. وهذا هو السر في فتنة الغواني،

فنحن نحبهن لغرابة حياتهن وشذوذ مظهرهن وإن كنا نعلم أن في قبلاتهن سم الأفاعي...

غرور الرجل

من أبلغ الظواهر الدالة على غرور الرجل وأنانيته أنه يخدع امرأته في غير احتفال. ثم لا يستطيع أن يتصور لحظة واحدة أنها هي الأخرى يمكن أن تخدعه.

سحر الرجولة

بقدر ما تحب المرأة الحركة والكلام تعشق في الرجل الهدوء والصمت، بيد أن هدوء الرجل يجب أن يكون ثقة بالنفس، وصمته يجب أن يكون حكمة في العقل وصلابة في العزم وإلا كرهته المرأة واحتقرته ونظرت إليه كفرصة نادرة للعبث والخديعة.

الرجل يحب نقيضه

كل رجل يحمل في أطواء نفسه صورة معينة من جمال المرأة التي ينشدها. وهذه الصورة التي تفتنه لابد أن تكمل نقصًا كامنًا فيه، فالقوي مثلًا يحب الضعيفة، والقاسي يحب الرقيقة، والخيالي يحب المرأة العملية، وهكذا. فتأثير جمال المرأة لا يصدر إذن عن المظاهر بل ينبع من طبيعة الرجل نفسه، ومعنى هذا أن كل امرأة يمكن أن تبدو جميلة وأن تكون محبوبة متى وجدت الرجل الذي يشعر أن فيه نقصًا يستطيع أن يكمله بوساطتها.

الرجل السعيد والرجل البطل

المرأة العاشقة إن كرهت قتلت، وإن أحبت قتلت. فالكره يسوقها للانتقام، والحب يلهب في نفسها رغبة الحيازة والاستئثار التي هي شر من الانتقام، فالرجل السعيد هو الذي لا تكرهه المرأة ولا تحبه. ولكن هذا الرجل السعيد لن يكون بطلًا، ولن يعرف لذة الحياة المليئة وهو يصارع امرأة عاشقة ...

حب امرأة واحدة

حبك لامرأة واحدة يمكن أن يهبك الحياة، أما حبك لنساء عديدات، فقد يمنحك اللذة، ولكنه يسلبك الحياة، فأعجب بالنساء جميعًا، وحب واحدة فقط، وسواء أنعمت بهذا الحب أم شقيت، فعزاؤك أنك لم توزع حياتك، وأنك وهبتها على الأقل للحب لا للذة! ...

كيف تتأكد المرأة من حب الرجل ؟!

كثيرًا ما تحار المرأة والفتاة وتقول في نفسها: أني أحب هذا الرجل فهل هو حقًا يحبني، وهل هو حقًا مخلص لي، وهل في وسعي أن أثق بعواطفه وأمنحه قلبي ومستقبلي؟

هذه الأسئلة الخطيرة تقلق بال كل امرأة تحب. فكيف تتأكد المرأة إذن من أن الرجل يحبها، ويؤثرها على غيرها، ويتمنى أن يكون لها وحدها، مخلصًا في هواها، أمينًا على عهده لها ؟..

الواقع أن هناك عدة ظواهر نفسية رئيسية تتوافر في الغالب في كل

رجل يحب. وهذه الظواهر لو عرفتها المرأة ولاحظتها، واستوثقت من وجودها في شخصية الرجل الذي تهوى، فلا شك أنها تستطيع أن تركن إليه وتطمئن إلى صدق عواطفه، وتقي نفسها شر التورط والخيبة واليأس والحسرات.

ففي مقدور المرأة أن تتأكد من حب الرجل إذا لاحظت فيه الظواهر الآتية:

أولًا –إذا كان صموتًا كتومًا رصينًا، يكبح عواطفه جهده، ولا يسرف في الإطراء والملق، ويتجنب ما استطاع التحدث عن شخصية المرأة التي تحب، وإلحاق أي أذى بمركزها الأدبي والاجتماعي.

ثانيًا –إذا تردد كثيرًا في الاعتراف بحبه، وبدت عليه مظاهر الخوف والخجل، وشعرت المرأة أنه يقدم ثم يحجم، ويتشجع ثم يتراجع، ويود أن يتكلم فلا يستطيع.

ثالثًا –إذا أحست المرأة أنه يحترمها، ويجلها، ويعف عنها، ويرتفع بها عن مستوى أترابها، ولا يخطر بباله لحظة واحدة أن يظفر منها بأية متعة بدنية لا يقرها العرف ولا يرضى عنها قانون الشرف.

رابعًا –إذا أعرض عن جميع النساء ونظر إليها وحدها، متأملًا وهو مذهول في طابع جمالها، منصتًا وهو مأخوذ إلى سحر

حديثها، مهتماً وهو مفتون بادر إلك سر ميولها ورغباتها.

خامساً–إذاعرف أنها تشتهي شيئا فلم يتمهل، ولم ينتظر، وجاءها

به من تلقاء نفسه، ثم قدمه إليها، أسعد مايكون بهذه المناجاة اللطيفة، وأبعد ما يكون عن الشعور بالكبر والزهو والخيلاء.

سادساً–إذا أدرك أنها تتجمل من أجله، فهتف إعجاباً بثوبها الجديد، وأبدي لها في بساطة وصراحة بعض ملاحظاته في تخير الأزياء، كى يوفق بين ذوقها وذوقه، وبين أسلوبها في حب الجمال وأسلوبه.

سابعاً–إذا شعرت المرأة أنه فخور بالظهور معها في المجتمعات والملاهى، ضنين بصحبتها، حريص على راحتها، باذل قصاراه في إدخال السرور على قلبها، لا تتم له سعادة إلا في وقفتها، وإلا في غمرة الضوء الباهر المنبعث من سحر وجودها.

ثامناً–إذا لاحظت المرأة أنه لا يريد أن يعيش بعقله في عزلة عنها، وأنه يأبي إلا أن يشركها في أفكاره كما يشركها في عواطفه بحيث تصبح حياتهما الحسية والمعنوية وحدة منسجمة رائعة في ظل التآلف المطلق والتفاهم التام.

تاسعاً–إذا أحست المرأة أنه يغار عليها غيرة عاقلة متزنة حكيمة لا غيرة طائشة مجنونة حمقاء. إذ الغيرة المتزنة المشروعة تدل على الحب، أما الغيرة الطائشة الرعناء فتدل على الأنانية والقوة والميل إلى الإستبداد والتعذيب.

عاشراً–إذا شعرت المرأة ساعة الشدة والمرض، أنه يستفسر في لهفة عنها، ويتمنى من صميم فؤاده لو استطاع أن يلازمها، ويضحي بأسباب اللهو والسرور من أجلها، ويستمريء تلك اللذة النبيلة العميقة،

لذة التفاني في خدمتها وتمريضها.

حادى عشر–إذ أخبرته المرأة فتأكدت أنه لم يخف عنها شيئاً. ولم يكذب عليها قط، وإنه لفرط إخلاصه وصدقه لا ينفك يطالبها بأن تبادله صراحة بصراحة، وايماناً بإيمان.

ثاني عشر–إذا أيقنت المرأة أنه يحب البيت أضعاف مايحب العالم، وأن أمتع شيء لديه هو الحنين إلى العش، والتلهف على الوكر، والتمتع في صحبة الاليف.

هذه هي الظواهر النفسية الرئيسية التي تدل أبلغ الدلالة على أن الرجل يحب في عمق، ويهوي في صدق، وينشد السعادة النفسه وللمرأة في ثبات وإخلاص.

فعلى المرأة أن تدرس شخصية الرجل قبل أن تتورط في علاقة معه. وعليها أن تأكد من توافر تلك الظواهر النفسية فيه قبل أن تصبح وتهلل وتهتف بأنه حقاً يحبها...

بيد أنها يجب أن تفهم أن حب الرجل ينبع منها هي، ويصدر عن أخلاقها وطباعها وعواطفهاهى، فإذا كانت دمثة رقيقة طيبة متواضعة، أثرت في عواطف الرجل وزادتها قوة وصدقاً وعمقاً. وإذا كانت متكسرة وشريرة وقاسية، أخمدت تلك العواطف، أو أفسدتها وإنحرفت بها عن تيارها وأشاعت فيها روح القسوة والخبث والشر.

فالرجل المتأهب الحب يجب أن يصادف المرأة التي تعرف كيف

تحب. ومن المحال أن تحذق المرأة فن الحب إلا بالطيبة والحنان وذلك لأن الرجل ينشد في إمرأة أحلامه صورة أمه، ويصبو وهو إنسان كبير إلى تلك الطيبة المقرونة بالحنان التي كان ينعم بها في أحضان أمه وهو طفل صغير ..

ألوان من النساء

المرأة الخيالية

المرأة الخيالية هي التي تحب الحب أكثر مما تحب الرجل الذي يمثل في نظرها هذا الحب.

فالحب بأحلامه وعواطفه وآلامه هو الذي يشغل فكرها، وهو الذي تسمى إليه، وهو الذي يتخذ في ذهنها صورة شعرية غامضة لا تمت إلى الواقع بأية صلة.

هذه المرأة متي أحبت أو متى تصورت أنها قد أحبت خلعت على حميمها من روائع تصورها حلة وهمية فاتنة سرعان ما تبددها الحقيقة ويذهب بها فعل الزمن.

وحيث أن التصور الشعري لاحد له وليس في وسع أي رجل أن يحققه، فالمرأة الخيالية تنساق بالرغم منها إلى التقلب من عاطفة إلى عاطفة ومن رجل إلى رجل، عساها تستطيع أن تطفر آخر الأمر بذلك المخلوق الساحر النادر الذي تعتقد أن في مقدوره أن يمثل صفوة أحلامها وخلاصة الوهم العاطفي الشائع فيها.

وهكذا تتدهور المرأة الخيالية مدفوعة بتأثير خيالها، فتخدع تفسيرها ويخدعها العشاق، وتظل طوال حياتها نهبا مقسماً لأطماع الرجل، وفريسة حلم باطل مستحيل التحقيق.

ولقد أبدع الروائي الفرنسي (جوستاف فلوبير) في رسم شخصية هذه المرأة في قصته الخالدة (مدام بوفارى). ولقد أطلق النقاد اسم (البو فاريزم) على تلك النزعة العاطفية الخيالية لفرط ماشاهدوا في الحياة من سيدات خياليات أو لعن بها وأوردتهن في النهاية مورد التهلكة.

فعلى المرأة أن تحذر في الحب سلطان الخيال، وإلا تؤخذ بروائع التصور والمبالغة، وأن تنظر ما استطاعت إلى الرجل على حقيقته، وأن تفهم أن الرجال متشابهون، وأن الحب في جوهره عاطفة لايمكن أن تكون خالصة السحر، أبدية الكمال، لأنها مقيدة في الواقع بالنقص العميق المتأصل في طبيعة الرجل وطبيعة المرأة على السواء.

المرأة العاشقة

قد يبدو هذا التعريف لنوع معين من النساء غريباً، إذ كل إمرأة يمكن أن تكون في طرف من الظروف عاشقة عشقاً يمتاز بطابع خاص. ولكن ما نقصده بالذات هو المرأة المولعة بالعشق في ظل النظام وفي دائرة الأسرة.

ومن خصائص هذه المرأة أنها تظل تحشد عواطفها وأحلامها وهي فتاة كي تطلقها في محيط البيت وهي زوجة، فتهيم حباً بزوجها، وترهقه بإحساساتها،بوتجهده بغيرتها، ولا يقر لها قرار حتى تجعل من بينها الزوجي عشاً للغرام، ومن زوجها المسكين عاشقاً أبدياً لها، متيماً بحبها، منصرفاً بكليته إليها.

فلا الواجب البيتى يمكن أن يشغل مثل هذه المرأة، ولاحب

الأطفال يمكن أن يستغرقها، أو يخفف بعض الهوى الطائش الذي تحمله لزوجها.

فهي تعيش للرجل فقط، لا للأسرة. ولنفسها فقط، لا لأولادها. وهي تصرف في الحب والغرام إسرافاً تعتقد أنه من حقها وواجبها، وأنه السبيل الفرد لتحقيق السعادة التي تنشدها لزوجها.

ولكن الزوج المنصرف إلى عمله، المنهمك في تحصيل درز قه الرازح تحت حمل مسئولياته ألا يلبث أن يتضجر، ولا يلبث أن يثور، فتعتبر الزوجة العاشقة هذا الفجر منه نفوراً، وهذه الثورة خيانة وجحوداً، فيضطرم حبها، وتستعر غيرتها، وتسوء أخلاقها، ويدمر الطيش العاطفي صرح هنائها الزوجي تدميراً.

وليس شك في أن من حق الزوجة أن تحب وأن تكون محبوبة على شريطة أن تفهم أن الزواج عدو الإسراف والفوضى، وأنه أخذ وعطاء، وحقوق وواجبات، ومنع وتضحيات، وأن كيان الأسرة لا ينهض على العاطفة العمياء، بل على خير ما في القلب من مودة وصداقة وحنان، وخير ما في العقل من تبصر وردية ورشاد.

المرأة الخليعة

لا هم للمرأة الخليعة إلا التبرج، ولا غرض إلا إخضاع العقول والقلوب.

فهى مخلوق أناني ماكر مزهو لعوب، لاتهزه العاطفة ولاتعرف

الرحمة إلى قلبه أي سبيل.

فالغاية عند المرأة الخليعة لا أن تحب، بل أن يحبها أكبر عدد ممكن من الرجال، وأن يهدر حبها أكبر عدد ممكن من الأرواح، وأن تظل هي محتفظة بعقلها وقلبها، تنظر بعين فاترة إلى ضحاياها، وتنعم هانئة بلذة الفوز والسلطان. وشر ما في أخلاقها أنها تقرن العطف بالرياء، والسماحة بالدماء، فتعلل بالكثير ولا تعطى إلا بقدر، فتلهب الأمل في نفوس أعشاقها ثم تخمده بأعراضها ودلالها ثم تسخر منه عابثة ماجنة، كأنما هي قد خلقت للألم وسخرت الفتك والتعذيب.

والحق أن المرأة الخليعة لا تعذب الرجال إلا لأن لذة التحكم والتسلط قد طردت من نفسها لذة الخضوع والحنان، وإبتلتها بمرض خبيث هو: العجز عن الحب.

فهي لفرط قسوتها تكره أن تخضع للحب. وهي لعجزها عن الشعور بالحب تثأر من الرجل، ولعجزها عن الشعور بالحب ترتوي من لذة التعذيب.

ومع ذلك فالحب يظل قبلتها، وسحره يظل يلاحقها، ولكنها متى ضعفت وإنهزمت وأحبت رجلاً، وجس منها هذا الرجل خيفة ولم يصدقها، وعذبها بدوره ولم يرحمها، وإنتقم منها الجميع اولئك الذين سخرت منهم وكانوا بالأمس موكب ضحاياها!.

المرأة المغرورة

لا تنظر المرأة في الغالب إلى حقيقتها بقدر ماتنظر إلى تأثيرها في الآخرين، فشخصيتها في الواقع لاتهمها وإنما إنعكاس هذه الشخصية على الناس هو الذي يقلقها وهو الذي يستغرق تفكيرها.

ولذلك تريد المرأة أن تبدو جميلة، وتريد أن تبدو ذكية، ثم ينتهي بها الأمر إلى الاعتقاد الراسخ بأنها حقاً جميلة وذكية بل أجمل وأذكى النساء...

فخداع النفس هو الرذيلة المسيطرة على خلق المرأة، وهو العامل النفسي المستبد الذي يملؤها غروراً ويلقي في روعها أن من حقها أن تكون ملكة وأن تجلس على عرش...

وهذا الغرور في المرأة يعرقه الرجل حق المعرفة، ويعرف كيف يأخذها في شركه، ويتصيدها في حبائله، توطئة لإخضاع جسمها وقلبها لرغبته ومشيئته.

فالمرأة تؤكد أنها جميلة وذكية، والرجل يؤمن على كلامها، ويضرم فيها نار غرورها، وما يزال بها يتملق شخصها، ويطري محاسنها، حتي تفقد صوابها، فتتخاذل وتترنح، وتعنو له في النهاية صاغرة.

فعجز المرأة عن فهم حقيقة نفسها، يؤدي بها إلى العجز عن فهم حقيقة نبات الرجل الذي يتملقها. وهكذا تؤخذ في فخ غرورها ثم لاتلبث أن تستفيق فتصرعها الحقيقة الفاجعة .

ومهما حاولت المرأة فلن تستطيع الثبات في وجه الرجل إلا إذا إحتقرت الثناء، وعافت الزلفي، وتحررت جهدها من تأثير الملق. ولكن هذه الفضائل لن تكتمل في نفسها إلا متى إستعانت بعقلها، ونزلت عن كبريائها، وتحكمت في أنوثتها و لزمت حد التواضع، وإهتمت بالنظر في حقيقة شخصيتها أكثر من إهتمامها بالنظر في إنعكاس هذه الشخصية على الناس.

وهكذا يتقلص غرورها، فتستطيع أن تفهم حقيقة الآخرين، لأنها تكون قد فهمت حقيقة نفسها...

المرأة المتكبرة

تعتقد المرأة المتكبرة أن الحسن كله قد اجتمع فيها، وأن مفاتن الأنوثة بأسرها قد اكتملت في شخصها العزيز الجميل. فهي تنظر إلى النساء من عليائها، وتظن أن العجرفة تضاعف سحرها، وتميزها عن أترابها، وتسوق إليها الرجال أذلاء طالعين .

وقد تكون المتكبرة جاهلة فتعتقد أنها مثقفة نابهة، وقد تكون دميمة فيخيل إليها أنها فتنة، وقد تكون شريرة فتؤمن أنها مثال الفضيلة .

فشخصها الضئيل هو الذي يحتل ذهنها، ومن خلال شخصها الضئيل تطل على العالم وعلى نفسها، فلا تلحظ نظرة الناس إليها، ولانستطيع أن تتصوران في وسع أحد منهم أن يطاولها وأن يوجه إليها أي نوم أوعتاب.

والواقع أن المرأة المتكبرة احدى اثنتين: إما إمرأة خارقة الجمال مفتونة بجمالها، وإما إمرأة فيها نقص واضح أو خفي، تحاول أن تكمله وتستره بكبريائها.

ولكن الكبرياء سواء أكانت صادرة عن تفوق أم عن نقص، رذيلة ممقوتة بغيضة، تشوه محاسن المرأة أن كانت جميلة، وتجعل منها سخرية وضحكة أن كانت دميمة، أو كان فيها أي نقص ظاهر أو خفي.

على أن طبيعة الكبرياء بما تحمل من مظاهر الغطرسة والترفع، تنافي طبيعة الأنوثة وما يجب أن تحمل من رقة وعذوبة ولين، ولذا فالمرأة المتكبرة تقصي الرجل بدل أن تدنيه، وتنفره بدل أن تستميله، وتخون نفسها، وتخون جنسها، و تطعن أنوثتها بسلاح كبريائها.

وجميل من المرأة أن تكون أبية لأن الآباء صفة الفضيلة، وقبيح منها أن تكون متكبرة لأن الكبرياء رمز القساوة، ومظهر فقر الأنوثة ووصمة الحماقة في جمين الجمال!...

المرأة الحسود

تطمح المرأة في الغالب إلى كل شيء، ولا تريد أن تضحي أبدا بشيء.

فهي تنشد الزواج والحب والأمومة والمال. ومتى حرمت إحدى هذه المنع أو بعضها، وكانت مفتقرة إلى رجاحة في العقل وقناعة في النفس ونقاء في الضمير، تملكها شيطان الحسد فبرمت بحياتها،

وتطلعت في حرقة ولوعة إلى منع الآخرين.

والحسد شر خلال المرأة وعنه تصدر رذائلها جميعاً. فمتى تمكن من نفسها أصبحت شرسة وصلفة ومتكبرة، بل قمامة ومغتابة وواشية، بل ماجنة وخليفة ومستهترة، لا تأبه المواجب ولا تحفل بالفضيلة، مادامت تعتقدان نساء أقل منها جمالاً ودونها ذكاء أصبن حياة أمتع من حياتها وحظاً أسعد و أوفر من حظها.

فتحرقها الدائم، ولوعتها المستمرة، وحسرتها المزمنة. كل هذه العوامل قد تدفعها بالرغم منها إلى سبيل الغواية كى تساوي نفسها بأولئك اللواتي ميزهن الحظ عنها وكن مطمح أبصارها.

بيد أن الحظ لا يؤخذ غلاباً، والسعادة قل أن تمتلك بالمغامرة، والقناعة متى اقترنت بنعمة الفكر كانت أمتع ألف مرة من حفظ غامض مبهم يزينه الحسد وهو يملأ طريقه بالأشواك .

فالسعادة الحقيقية للمرأة ليست في وهم الحصول على كل شيء، بل في الإكتفاء ببعض هذا الكل، ثم تكييفه وتحسينه وتجميله بحيث يصبح الجزء البسيط أغلى وأبقي من الكل..

تلك هي المعجزة الرائعة التي في وسع كل إمرأة أن تحققها لو أستأصلت من نفسها جرثومة الحسد، وأخمدت في قلبهسا جذوة الطمع، وعالجت حظها بالقناعة والحكمة، بدل التورط والتخبط في دنيا الحسرات والأوهام.

المرأة الدميمة لا وجود لها

قد لاتهب الطبيعة المرأة جمالاً باهراً وحسناً يلفت الأنظار. ومع ذلك فالطبيعة ذكية ورحيمة وهي لايمكن أن تهمل المرأة إهمالاً تاماً، ولا يمكن أن تجردها من كل خصائص الجمال.

والواقع أن في كل أنثى لوناً خفياً من الحسن، وطابعاً خاصاً من الفتنة، وسراً محجباً من الإغراء.

وليست العبرة في أن تكون المرأة جميلة جمالاً خارقاً عظيماً بل العبرة في أن تعرف نفسها، وتعرف الجانب الخفي من حسنها، فتبذل قصاراها في العناية به، وإبرازه في وضح النور، بحيث تستطيع أن تؤدي وظيفتها كأنثى وتظفر بحقها المشروع في الحب والزواج والأمومة والحياة.

فالمرأة الدميمة لا وجود لها. و كل إمرأة دميمة هي إمرأة حمقاء لم تفطن إلى محاسنها الخفية ولم تنعم النظر طويلاً في مرآتها، ولم تفهم أن الجمال وإن كان هبة من هبات الطبيعة إلا أنه في نفس الوقت عمل رائع تصنعه يد الانسان.

والحق أن النساء المجيدات اللواتي أولع بهن عظماء العالم وخلد الحب ذكرهن في التاريخ، لم يكن أبداً على حظ وافر من الجمال كما يعتقد البعض.

فالحسناء الفاتنة «آن دي بولين» التي أحبها هنري الثامن ، كانت

شوهاء العنق، بارزة الأسنان، ذات يد ضامرة محروقة نبتت فيها ست اصابع..

والآنسة «دي لافالبير» التي أعجب بها لويس الرابع عشر كانت عرجاء.

والنبيلة «جبرييل ديسترية» التي فتنت بلاط الملك هنري الرابع كانت قصيرة الذراعين، غليظة الشفتين، ضخمة القدمين.

أما «كليوبترا» فحكاية أنفها الدميم معروفة ومع ذلك فقد أحبها أنطونيوس العظيم إلى حد التضحية من أجلها بكل شيء.

وإذن فجمال المرأة لاينبع فقط من إكتمال التقاطيع، وتناسب القسمات، وإنسجام الظلال والألوان، بل قد ينبع أيضاً من إبتسامة عذبة، أو نظرة حلوة أو منطق رقيق، أو لمحة غريبة من لمحات الجسد، أو ومضة عميقة من ومضات الروح.

والمهم أن تفهم المرأة أن أقل نعمة حبتها بها الطبيعة، يمكن أن تصبح بفضل فنها وإرداتها قوة فعالة من جمال، فالشعر المموج لو ميفف في أناقة يمكن أن ينقذ الوجه الدميم، والشفاة الناضرة لو لونت في مهارة يمكن أن تستر غلظة الأسنان، والعيون الساحرة لو كحلت في رشاقة يمكن أن تضفي على المرأة حلة رائعة من جبال.

على أن الفتنة الكبرى لا تكمن في تأثير الجسد بقدر ما تكمن في تأثير العاطفة والأخلاق. والعاطفة الرقيقة هي شعر القلب. والأخلاق

الكريمة هي روح الجمال. وفي وسع كل إمرأة أن تفزع إلي العاطفة والأخلاق فتستمد منهما ذلك السحر المعنوي الذي يأسر لب الرجل، ويعوض المرأة عن كل نقص ملحوظ في قسمات الوجه أو تناسب الأعضاء.

فالدمامة والحالة هذه لا وجود لها والمرأة الدميمة حديث خرافة. وكل إمرأة كائناً ما كان حظها من مفاتن الأنوثة، في مقدورها أن تكون جميلة وفي مقدورها أن تكون ساحرة، لو عرفت كيف تبرز حسنها الخاص، و كيف تقرن هذا الحسن بأخلاق كريمة يقدرها الرجل في الواقع أضعاف مما يقدر الجمال.

عالم الزواج

الرجل وغريزة الغابة

كان رجل الغابة في عصور الإنسانية الأولى، لا يكاد يشتهي إمرأة حتى ينقض على جاره الضعيف فيبطش به، ويختطف أنثاه، و يحملها إلى مغارته، حيث يعتصرها لذة، ويستولدها خلفاء ثم يهجرها، أو يتشبث بها، أو يضطر إلى النزول عنها لمن هو أقوى منه.

ففي كل رجل تكمن غريزة الغابة وفي كل إمرأة تكمن غريزة الخوف، يمازجها الشعور العميق بلذة الضعف ولذة إحترام القوة.

ولقد جاهدت الإنسانية القرون الطوال كي تجعل من رجل الغابة إنساناً، إجتماعياً، وتجعل من فريسته الضعيفة مخلوقاً مساوياً له في الكرامة والحقوق ولكن غرائز الغابة المتأصلة في طبيعة الجنسين ولا سيما في طبيعة الرجل، ما برحت تطمع الرجل القوي في ضعف المرأة، وما برحت تدفع بالمرأة الضعيفة إلى حب القوة وإحترامها في رجل أحلامها المنشود.

على أن المرأة بحكم ضعفها الجثمانى، ورقتها العاطفية، وحاجتها إلى الأمومة، وحرصها على مستقبل النوع، أصبحت على مر القرون ومنذ أن نشأ الزواج وتكون نظام الأسرة، لا تنظر إلى القوة كما ينظر إليها الرجل، ولا تحب القوة كما يفهمها ويؤمن بها الرجل...

فنظام الزواج الذي أوجده المجتمع لحماية المرأة وأبنائها، قد ساعد المرأة على التحضر، وكان له أكبر الأثر في تطور نفسيتها.

أما الرجل فما يزال برغم علمه وثقافته عدو الزواج. ما يزال أقل تحضرا من المرأة. ما تزال القوة في نظره هي البطش بالضعيف، والشجاعة هي الجرأة في طلب اللذة، والنخوة هي التمتع بأكبر عدد ممكن من النساء..

فغرائز القوة الغاشمة، أي غرائز الغابة، أعمق في نفس الرجل منها في نفس المرأة. و هو كلما إستسلم لتلك الغرائز، فأسرف فيها، وأمعن في استخدامها، وسلطها على الجنس الآخر، أعتقد اعتقاداً وراثياً مروعاً أن النساء لا يؤخذن إلا بها، ولا يخضعن إلا لها ولا يقدرن ويحترمن ويحببن الأكل رجل توافرت فيه عناصرها.

وهذا هو السر فيما يردده بعض الرجال من وجوب التحكم في المرأة، والإستبداد بها، وتأديبها في بعض الأحيان بالضرب، إذا شئنا أن نفوز بحبها وإعجابها.

بيد أن المرأة إذا كانت ما تزال تعشق مظاهر القوة التي ألفتها في رجل الغابة، فقد أصبح من المحال عليها وهي تحيا اليوم في محيط الزواج ودائرة الأسرة، أن تحب وتخلص لرجل لا تحس فيه قوة أخرى، أصلب وأبقى من تلك القوة الغاشمة التي كان يزهو بها رجل الغابة.

فالحب عندها يتولد ولا شك من الإحساس بالقوة، ولكن القوة قد تبدلت في نظرها تحت تأثير نظام الزواج، وإستحالت إلى قوة معنوية لابد

من توافرها في الزوج الذي تحب وإلا عبثت به وسخرت منه وأعرضت عنه.

والحق أن معظم الرجال لا يفهمون هذا، وهم لفرط إحساسهم بأن القوة المعنوية عسيرة المنال عليهم، يؤثرون التوسل بمظاهر القوة المادية وحدها للتمكن من المرأة والسيطرة عليها.

ولكن المرأة لم تعد تخضع لرجل الغابة ولم تعد تحب أو تخلص إلا لصاحب القوة المعنوية الذي إستطاع أن يتحكم في غرائز وأخلاق رجل الغابة.

فما هي إذن تلك القوة المعنوية التي تخضع المرأة السلطان الرجل؟..

الواقع أن المرأة، أو الزوجة بمعنى أصح، لا يمكن أن تستسلم وتخضع إلا لرجل يكون عقله أرحب من عقلها، وذهنه أحد من ذهنها وإرادته أعمق وأرسخ من إرادتها.

رجل يعرف كيف يكون محباً بدون إسراف، طيباً بدون ضعف، صارماً بدون قسوة، عادلاً بدون غلظة حذراً بدون غيرة، سيداً واثقاً هادئاً مطمئناً بدون زهو أو خيلاء.

رجل يفرض المسئولية على شريكته لأنه يفرضها في نفس الوقت على شخصه.

رجل لا يعتز بقوته لأنه لا يشكو نقصاً فيها.

رجل يفكر فيما يفعل، ويفعل ما يقول، ولا يقول أو يفعل إلا ما يمكن أن تمليه الحكمة، وتحققه الإرادة وتتجلى فيه رجولة الفكر والقلب والضمير.

هذه هي القوة المعنوية التي تحترمها المرأة، وتخضع لها، ولا تنفك تطلبها في الزوج المثالي المنشود. أما قسوة الأخلاق، وعنف الطباع، ووحشية الميول والأهواء ومختلف مظاهر القوة الغاشمة المستبدة، فالمرأة تعتبرها دليل ضعف لا دليل قوة فتسخر منها، وتحتال عليها، وما تزال بها حتى تقهرها آخر الأمر بماطبعت عليه من غرائز المسكر والخبث والدهاء.

فكلما فترت في الرجل تلك القوة المعنوية، تبرمت المرأة وثارت وفسدت أخلاقها، وكلما إلتهبت في الرجل روح تلك القوة، خضعت المرأة، وأحبت، وأطاعت. ثم هذبت من أخلاقها لتستطيع أن تهذب من أخلاق الرجل وتحوله من رجل غابة إلى رجل بيت ومجتمع ونظام.

هل الزواج مقبرة الحب؟

يزعم الكثيرون أن الحب لا يمكن أن يعيش ويزدهر في جو الزواج وأن الحياة الزوجية بواجباتها الثقيلة، وتبعاتها المرهقة، وإنصبابها اليومي في مجرى متشابه واحد، لا بد أن تقضي آخر الأمر على عاطفة الحب في نفس الرجل والمرأة، على السواء.

فهل هذا صحيح، وهل الزواج مقبرة الحب كما يزعمون؟..

الواقع أن الأصل في الحب الخيال، وأن الحب نوع من العبادة الدينية وأن كل عبادة دينية تنشأ من فتنة الأسرار ومن سحر المجهول.

فالإنسان عندما يحب يشبه العابد المؤمن عندما يصلي. والإنسان لا يحب في الحقيقة شخصاً يعرفه، بل يحب ويعبد شخصاً مبهماً، غامضاً مجهولاً، خلعت عليه ألوان الخيال حملة رائعة من الغرائب والأسرار.

فخيال المحب يشبه خيال المؤمن، كلاهما ينشد في الحب شيئاً أسمى من الحياة، ولكن المؤمن يستطيع أن يحب الله حباً سامياً دائماً عميقاً لأن الله يظل في نظره سراً بعيداً ومثلاً أعلى. أما المحب فلا بد أن يتصل بحياة محبوبه، ولابد أن يجرد هذا المحبوب من سحره الغامض، ولابد أن يراه على حقيقته. فمتى تم هذا الإتصال ولا سيما في دائرة الزواج، إنقطع السحر، وتقلص الحب، وفنيت العبادة، وتمزقت الأسرار...

تلك هي فاجعة المحبين، وهذا هو السر فيما يزعم البعض من أن الزواج مقبرة الحب.

ومع ذلك فلنا أن نتساءل: إذا كان الزواج يقتل الحب فعلى أي شيء إذن يمكن أن يعيش؟.

يجيب الماديون فوراً: على العقل وحده، على المصلحة وحدها على الرابطة الوثيقة التي يخلقها تبادل الحقوق والواجبات.

ولكن هل في إستطاعة الإنسان أن يحيا بالعقل وحده لمجرد المصلحة فقط، وهل في مقدور الزوج أن يؤدي واجبات ويحمل مسؤوليات لا يدفع إليها القلب، ولا يمليها نوع من الحب، ولا تزينها آية عاطفة؟ هذا في الحق محال.

وإذن فالعاطفة كائنة في صلب الزواج، ولا بد للزواج من عاطفة الحب، وإلا إستحال إلى شركة مادية وضعيفة، سرعان ما تهددها روح الأثرة والأنانية بالتصدع واإانهيار.

بيد أن الحقيقة التي لا يقطن إليها الناس في العادة، هي أن الزواج يتطلب نوعاً من الحب يختلف كل الإختلاف عن ذلك الحب الخيالي الذي أشرنا إليه.

فالحب الخيالي شيء، والحب الزوجي شيء آخر. وصحيح أن الإنسان يحب بخياله أولاً ثم يتزوج بعدذلك، فيحس الفارق العظيم بين حبه الخيالي الأول وبين ما إنتهى إليه هذا الحب المثالي الشعري في دائرة الزواج.

ولكن الإنسان مع ذلك يشعر أن من المحال عليه أن يعيش في ظل الزواج بدون حب، فتراه يضطرب ويحار، ويجد نفسه مرغماً على التخير بين أمرين، إما أن يثور على زواج يجرده الواقع من مختلف ألوان الحب الخيالي القديم، وإما أن يتطور بهذا الحب الخيالي، ويوفق بينه وبين الواقع بحيث يستطيع أن يسعد به، ويستمد منه القوة على إحتمال مسئوليات الزواج.

فهذه الرغبة في التطور بالحب من الخيال إلى الواقع، من الشغف إلى الوداد، من العشق إلى الصداقة، من الوله إلى الحنان، من الحركة والعنف إلى الهدوء والإستقرار، هذه الرغبة هي التي تخلق الحب الزوجي، وهي التي تصون مستقبل الأسرة، وتحميها من خطر التفكك والإنحلال.

فكان الفارق والحالة هذه بين الحب الخيالي والحب الزوجي، أن الأول نزوة خارقة رائعة من نزوات الطبيعة. أما الثانى فعاطفة متزنة رشيدة توحي بها الطبيعة ويشترك في تكوينها فكر الإنسان.

والحق أن كل حب زوجي وطيد وكل تفاهم زوجي عميق، هو صنع أخلاقنا، وغرس فضائلنا، وثمرة إرادتنا، ونتاج مجهودنا اليومي الشاق للتغلب على النقص الأخلاقي الكامن في طبيعتنا.

فنحن لا يمكن أن نسعد بالزواج إلا إذا شئنا أن نسعد، ونحن لا يمكن أن نجد الحب في الزواج إلا إذا أبدعناه بأخلاقنا، وغذيناه بفضائلنا، وأخضعناه لحكم الواقع وحولناه ما إستطعنا إلى ضرب من المودة الخالصة والحنان العميق.

بيد أن هذا الجهد يشق على الكثيرين، لذلك هم لن يعرفوا نعمة الحب الزوجي أبداً. لن يفهموا أن الخيال حلم، والشهوة وهم، والشباب إلى زوال. وأن ما يمكن أن يبقى في الزواج من عواطف المودة والتفاهم والوفاء والحنان، هو في الحقيقة أثمن من ذلك الحب الخيالي المشبوب، بل هو حب آخر أعمق وأرحب وأصلح للبقاء، حب لا يجمع

فقط بين جسدين بل يؤلف بين روحين في جو ساحر من الإخوة الرائعة..

ولقد أدرك المصريون القدماء الذين علموا العالم، أن الإخوة هي العاطفة التي يجب أن ينتهي إليها الحب. فكان العاشق منهم يناجي معشوقته بقوله: ياأختي!...

فهذه الإخوة الروحية هي غاية الحب، وهي الزهرة النقية البيضاء التي لا يمكن أن تعيش إلا في أرض الزواج التي يقولون آنها مقبرة الحب.

زواج الكهول

من الرجال من لا يفكرون في الزواج إلا عندما تتقدم بهم السن وتزهد قلوبهم في الدنيا، وتصبو أجسامهم ونفوسهم إلى الراحة في ظل إمرأة تمثل في مهبط حياتهم دور الزوجة والخادمة والممرضة.

فالزواج في نظر هؤلاء هو نهاية الحياة، ولكنه في نظر النساء جميعاً، بصرف النظر عن أعمارهن، يعتبر بدء الخليقة، ومشرق النور، والحافز السحري على التمتع بشتى ألوان الحياة.

والمرأة حتى لو تزوجت وهي في طور الكهولة، تظل تحمل في أطواء نفسها أحلام عذراء غريرة تنتظر من الزواج أن يفتح أمامها جميع أبواب الدنيا.

فمن الخطأ المروع أن يعتقد الرجل الذي أنهكته العزوبة، وأجهدته الأيام، أن في وسعه أن يحقق في بيته نعمة الهدوء والراحة بإغراء امرأته

على خنق أهوائها، وكبح ميولها، وتوديع مفاتن الحياة كما ودعها هو.

فالرجل الحكيم إذن لا يتزوج إلا وهو شاعر بأن فيه بقية صالحة من قوة وشباب، تمكنه من أن يحقق ولو بعض أحلام الحياة التي تنشدها كل امرأة في محيط الزواج.

وخير للرجل ألا يتزوج أبدًا، من أن يتزوج وهو يفكر في نفسه، ويحاول أن يشتري الراحة على حساب امرأته، إذ المرأة كائنة ما كانت احتمالها، وكائنة ما كانت فضيلتها، لابد أن تتأثر آخر الأمر لنفسها، ولابد أن تنتقم من ذلك الرجل المهدم المستبد الأناني، الذي لم يقترن بها إلا ليقتلها! ...

تأملات في الحياة الزوجية

*** لا ينشأ الحب الزوجي من الملذات المتبادلة، بل من التضحيات المتبادلة، وكل تضحية يبذلها الزوج لزوجة، أو لولده، أو لبيته، أفعل في توثيق روابط الحب، وأبقى على مر الزمن، من أعمق وأمتع لذة بدنية، تصدر عن الأنانية، وتنتهي إلى العدم.

*** لا يمكن أن تنصب الحياة الزوجية في مجرى واحد، وأن تسير وفق ريح واحدة، وأن تنطلق في طريق معبد فرد إلى حيث السعادة المطلقة.

*** من خصائص الحياة الزوجية أنها صعود وهبوط، مد وجزر، حب وسوء تفاهم، صفاء عميق لا يلبث أن يكفهر وينذر فجأة بالعاصفة.

فالهم في الزواج هو أن نعرف كيف نتقي العاصفة قبل أن تهب، وإذا هبت أن نطأطئ الرأس أمامها، وندعها تزأر، ثم تمر ...

*** إذا أسعدك الحظ بزواج قائم على الحب، فإياك أن تودع العالم وتنصرف إلى الحب، إياك أن تجعل من بيتك مغارة للحب، إياك أن تنطوي على نفسك، وتكتفي بحلمك، وتعيش وتفكر من أجل الحب.

*** الحياة الزوجية كالحياة الكبرى، كل ما فيها نسبي، وكل ما فيها جزئي وتقريبي، من المحال أن يبلغ حد الكمال المنشود.

فالعاقل هو الذي يطلب الممكن لا المستحيل، العاقل هو الذي يفهم أنه يعيش في الدنيا، وأن الزواج رمز لهذه الدنيا، لابد أن يكون فيه غنم وغرم، ولذة وألم، وأنانية وتضحية، وسعادة وشقاء.

*** من العادات الفاشية عند بعض طبقات شعبنا، أن الزوج إذا أبتلي بزوجة شريرة أو عاصية أو متمردة، وضاق ذرعًا بأخلاقها، وأراد أن يؤدبها، أسرع فتزوج عليها، وطعنها عامدًا في صميم كبريائها وكرامتها.

والواقع أن هذا الزوج يستجير من الرمضاء بالنار، ويثأر في الحقيقة من نفسه بدل أن يثأر من زوجته.

وليس شك في أن مسلكه لا يدل على القوة بل على العجز، ولو أنه كان حقًا قويًا، وحقًا رجلًا، لاستطاع أن يروض امرأته ويكبحها، بدل أن يجلب لنفسه متاعب وآلامًا جديدة ما كان أغناه عنها.

*** الحب كائن حي إذا تغذى من نفسه مات. فأفتح أمامه أبواب

العالم، وأدمجه في شئون الدنيا، وأشركه في حركة الفكر وحركة الحياة، تجدد دمه، وتجدد حيويته، وتوفر له عنصر البقاء.

فإذا كنت تحب زوجتك حقًا فلا تحبس نفسك في حبها، ولا تحبسها في سجن حبك، بل أنطلق بها في العالم الواسع ما استطعت.

رضها على أن تحب معك أشياء في نفسها وغير نفسك. أشياء أثمن من نفسها وأبقى من نفسك، دربها على واجبات الأمومة وزين لها متع الثقافة، قربها من مناهل الفكر، حبب إليها روائع الفن. أثر اهتمامها بمشاكل الوطن.

وهكذا يتنفس حبكما في جو طليق، ويمتد إلى أفق بعيد، وتضاف إليه مختلف ضروب الحب الأخرى، فينمو ثابتًا راسخًا، ويؤتي أبرك الثمرات.

*** عرفت شابًا ممتلئًا صحة ونشاطًا وقوة، تزوج فتاة كان يحبها حبًا مبرحًا عنيفًا ثم زهد فيها بعد عام وطلقها.

ولما سألته عن سبب طلاقه لها قال لي: إنه «لفرط ما تمتع بامرأته، ولفرط ما كان يشعر بأنها في متناول يده، وأن من السهل عليه أن يمتلكها في أية لحظة، تولد في نفسه على مر الزمن احساس بالضجر، سرعان ما أخمد حبه لها ورغبته الجثمانية فيها».

والعجيب أن الشاب، صار حتى بهذا وهو دهش. دهش لهذا الحب المتقد كيف انطفأ ومات بمثل هذه السرعة.

فقلت له وأنا أحدق فيه:

– لا تدهش يا صاحبي. فأنت المسؤول. أنت الذي قتلت ذلك الحب. أنت الذي خلطت بين الحب الزوجي والشهوة. وجعلت من الحب الزوجي عبدًا للشهوة. وأردت أن تتخذ من الزواج وسيلة للشهوة.

ولقد مات حبك لأنه لم يكن غير شهوة، وانهار زواجك لأنه لم يكن أبدًا زواجًا.

فأعلم الآن يا صاحبي أنك هدمت سعادتك لأنك اشتهيت امرأتك جسمًا وانصرفت عنها قلبًا. أحببتها بدنًا وهجرتها روحًا، تعلقت بها مادة وأعرضت عنها فكرًا وعاطفًة وعقلًا.

ولو أنك عاشرتها بالقلب والروح، بعض ما عاشرتها بالدم والجسد، إذن لرق احساسك، وتهذبت فطرتك، ونما حبك، وعاش زواجك، وكنت بهذا الزواج الجامع بين القلب والجسد أسعد رجل حتى اليوم.

قيمة الوراثة في الزواج

أعلم أن فضائل الروح وراثية كخصائص الجسد. فقبل أن تتخذ لك زوجًا، ينبغي أن تستفسر عن السلالة التي انحدر منها. لأنك في الواقع لا تقترن بفرد معين بل بمجموع الأخلاق والعادات التي تخلفت فيه من مؤثرات سلالته.

نعمة الزواج

إن أروع ما في الزواج بالنسبة إلى الرجل هو أنه قوة مشروعة تمكنه

من أن يكشف بنفسه عن السر المستغلق العظيم الكامن في فتاة عذراء. فمعرفة هذه العذراء التي تزوجها، وحقنا وحدنا في إماطة اللثام عن محاسنها، وشعورنا اللذيذ بضعفها وسذاجتها، واحساسنا العميق بأن في استطاعتنا، لو شئنا، أن نكيف أخلاقها وميولها بحيث تصبح شريكة لحياتنا، تلك هي نعمة الزواج التي لا يقدرها البعض منا، والتي يؤثر عليها البعض الآخر فتنة المرح والحرية. في صحبة نساء محاسنهن وجفت قلوبهن، ومات سرهن العظيم، في بؤرة التهتك والشهوة!...

عاطفة أنبل من الحب

هناك شيء أنبل من الحب هو التأهب الدائم لحماية الشخص الذي تحب.

وليست العبرة مثلًا في أن تحب امرأتك وأولادك.. بل العبرة كل العبرة في أن تشعر في أعماق نفسك بأنك السند الوحيد لهم، وأن تشعرهم بأنك خليق باعتمادهم عليك وثقتهم فيك. فالحب أن لم يقترن بالشرف فهو باطل. وشرف الحب كامن في الرجولة، وشرف الرجولة كامن في تجنب الغدر بالضعف وفي التأهب الدائم لحماية هذا الضعيف من كل أذى.

العدسة الحية

أنت لا تكترث في الغالب لامرأتك ولا تهتم اهتمامًا كبيرًا بمعرفة حقيقة أخلاقها. أما هي فجل اهتمامها منحصر فيك، منصرف إلى دراستك. فراقب نفسك، ولاحظ نصر فاتك. وأعلم أن امرأتك عدسة

حية تلتقط منك كل شيء، وتسجل كل شيء، لتؤدي عند الحاجة صورة فذة مروعة تنطق بأخلاقك وعاداتك، وتحاسبك حسابًا عسيرًا على كل شيء ...

المرأة في المجتمع وفي الأسرة

يجب أن تفهم أن المرأة في دائرة المجتمع شيء، وفي دائرة الزواج شيء آخر. فهي في دائرة المجتمع تنشد المساواة بالرجل وتطلب أن تكون نائبة أو محامية أو وزيرة. أما في دائرة الزواج فهي تطلب العدل والحب فقط، أما المساواة المطلقة بالرجل فتكرهها لأنها في محيط الزواج تصبح أنثى. تنشد الرجل القوي الذي يعرف بقوة عقله، وقوة إرادته، كيف يسوسها، وكيف يخضعها، وكيف يولد في نفسها فضائل الإخلاص والوفاء والتضحية التي لا يمكن أن تصدر منها إلا تحت تأثير رجل تشعر شعورًا عميقًا بأنه خليق بحبها لأنه متفوق عليها.

الحرية والفوضى

لا يفرق الرجل في الغالب بين الحرية والفوضى، لذلك هو يكره الزواج الذي يقيد الحرية ويحول بينها وبين أن تصبح فوضى.

أما المرأة فتستغرب من الرجل كيف ينشد الفوضى وكيف يريد أن ينعم بحقوق الزوجية دون أن يتحمل واجباتها.

ذلك لأن المرأة بحكم مسئوليات وظيفتها لا تستطيع أن تسلم بالفوضى، ولا تستطيع أن تفهم الحرية إلا على اعتبار أنها حقوق تتمتع

بها، مقابل واجبات علينا أن نؤديها.

والغريب أن هذا الفهم الصحيح لمعنى الحرية، يدركه الرجل ويدعو إليه في حياته الاجتماعية والسياسية، ولكنه قل أن يعمل به في حياته الزوجية ...

فن الحياة الزوجية

يجب أن تصون الزوجة ذاتها، وتحترم نفسها، ولا ترهق زوجها بمظاهر حب ماؤه الشغف والهيام، وهكذا يظل الزوج متلهفًا عليها، واقعًا تحت تأثير يقظة الحياة الغرامية المفاجئة فيها، فيزداد حبًا لها.

إذ ليس أبغض للزوج في الواقع من رؤية امرأته تتهافت عليه، وتمنحه في كل لحظة عواطف واحساسات كان يعتقد أنها ثمينة وغالية، كما يجب ألا يسرف الزوج في إشعار امرأته برغبته فيها. وأن يقدر استجابتها لرغبته، فلا يتعقبها ساعة المرض أو الألم أو الضيق. وهكذا تجله وتزداد تعلقًا به واحترامًا له، ذلك لأن المرأة لا تحب إلا الرجل الذي يعرف كيف يكبح نفسه ويضبط أعصابه، ولا يخاطبها دائمًا عن الجسد مغفلًا مطالب القلب والروح.

الزوجة العصبية المزاج

إذا كانت زوجتك عصبية المزاج، محدودة قوى الفكر، واتفق أن أسات إليها، فإياك أن تبدأ فتطلب الصفح منها. بل ألزم حد الأدب والاتزان والهدوء، ودعها تقم بالخطوة الأولى، ولو إنك فعلت العكس

وتقربت إليها مستغفرًا، فلابد أن ترى في سلوكك دليل ضعف، ولابد أن تنتهز الفرصة للثأر منك، وعندئذ تنقلب المصالحة إلى مشاكسة قد تلهب الماضي وتجدد في المستقبل أسباب النزاع ...

«بروفة» التجمل

لا يجب أن تتجمل الزوجة أمام زوجها. لأن التجمل هي الرواية التمثيلية العظمى التي تقوم بها المرأة كل يوم. والرجل يستملح هذه الرواية ولا شك. ولكنه يريد أن يشهدها كاملة على مسرح الحياة، لا أن يراها وهي «بروفة» تهيأ بين الكواليس.

الإستعباد والعبودية

من الزوجات من لا تطيب لهن الحياة إلا إذا أستعبدن الرجل أو كن مستعبدات له.

فإذا كان الرجل فظًا غليظًا واستعبدهن طربن لهذا الاستعباد، واعتبرنه دليل حب.

أما إذا كان الرجل ضعيفًا فتصبح لذتهن في أن يستعبدنه، ويشعرن بالسعادة لا في الحب، بل في السيطرة والكبرياء.

فاللذة التي يجدها بعض النساء في الاستعباد للرجل هي في جوهرها لذة تنحدر من شعور عميق بنقص في الكرامة والحرية الشخصية، وشعور أعمق منه بأن في انطواء الضعيف تحت بطش القوي متعة للمرأة لا تعدلها متعة.

وهذا مرض نفسي لا يعالج إلا بتربية عاقلة صارمة، تلطف من غرائز المرأة، وترفع مستواها الفكري والعاطفي، بحيث تشعر أنها شريكة للرجل لا متعة له، وأنها إنسان حر يجب أن يكون موفور الكرامة والاحترام.

أما لذة بعض النساء في استعباد الرجل فتنحدر من شعور خبيث بالزهو والخيلاء مقرون بلؤم في النفس، وخسة في الطبع، ورغبة في تعويض نقص الأنوثة باصطناع القوة والظهور بمظهر الاسترجال.

وهذا أيضًا مرض نفسي لا يعالج إلا بالتربية الحازمة التي تلزم المرأة حدها، وتحفظ لها أنوثتها، وتلقي في روعها منذ الصغر بأن الزواج تعاون وتساند لا سيطرة وتغلب، وأن الزوج بالغًا ما بلغ من الضعف وبالغًا ما بلغ من الطيبة، يجب أن يظل هو الزوج، ويجب أن يظل هو الرجل، وألا تقوض صرح البيت وكانت المرأة نفسها أولى ضحاياه.

سر السيطرة على المرأة

من الرجال من يعجزون كل العجز عن إخضاع نسائهم، وكبح جماحهن، والظفر باحترامهن وتقديرهن. ذلك لأن أولئك الرجال لا يعرفون سر السيطرة على المرأة.

وهذا السر في الواقع بسيط، وينحصر في شيء واحد هو ألا تصدر إلى زوجتك أمرًا إلا وأنت واثق من أنها ستنفذه.

فراقب زوجتك جيدًا، وأعرف مطالبها العادلة ورغباتها المشروعة ثم أجعل أوامرك متفقة وتلك المطالب والرغبات.

ومتى أمرتها أن تفعل ما تريده هي، استطعت أن تفرض عليها ما تريده أنت...

استحق إمرأتك

تشعر زوجتك بأنك لا تستحقها ما دمت لا تستطيع أن تسيطر عليها..

وما تبرمها في هذه الحالة ونفورها منك وثورتها عليك، إلا ظواهر تدفعك بها إلى استنهاض ميت قوتك واستخدام مدخر إرادتك، وإبراز جوانب العزم والسيطرة الكامنة في رجولتك.

فلا تعتقد أن زوجتك تكرهك إذا تمردت عليك بل ثق أنها تكره ضعفك، وأنك لو تغلبت على هذا الضعف فلابد أن تخضع آخر الأمر لك، شعورًا منها بأنك أصبحت ذلك الرجل الحازم القوي الذي يستحقها.

الزوجة والعشيقة

إذا أردت أن تسعد في زواجك فينبغي أن تعامل امرأتك كما كنت تعامل عشيقتك التي عرفتها قبل الزواج.

ولقد كنت تهتم بعشيقتك، وتظهر لهما الحب، وتجلب لها الهدايا. وتود أن تراها أبدًا راضية ومسرورة، فإذا أتبعت مع زوجتك نفس الأسلوب ضمنتها لك. لأن الزوجة، وإن كانت تعرف أنها زوجة، لا يمكن أن تشعر من نحو زوجها بالطمأنينة والثقة إلا إذا تصورت أنها في نفس الوقت زوجته وعشيقته.

ولع المرأة بالزواج

مما يدل على شدة ولع المرأة بالزواج، أن كل عشيقة تطمع في أن تكون زوجة كل عشيقة لا يمكن أن يهدأ لها بال ما دامت لم تصبح زوجته، فكأن غاية الحب عند النساء ليست الحب فقط بل الحب في وضع النور وفي ظل المجتمع وفي فسحة الاستقرار والأمن.

وهذا ما لا يفهمه الرجل فيزعم أن المرأة نفعية، وأنها مغرضة، وأنها لا تفهم معنى الحب، في حين أنها على النقيض لا تنشد الزواج إلا لتستطيع أن تضاعف احساسها بالحب بحيث يشمل نفسها وزوجها وأبناءها جميعًا.

*** من النساء من تتعمد مخاصمة زوجها لتزداد شعورًا بلذة مصالحته. ولكن الرجل يكره هذه الظاهرة النسوية أشد الكره لأنها تدل أبلغ الدلالة على شر ما يمكن أن يضطرم في نفس المرأة من دهاء مقرون بالأنانية.

*** الزواج عند بعض الناس نزاع أبدي على السلطة، فالرجل يود أن يكون رجلًا، والمرأة تأبى ألا أن تكون هي الرجل، والأبناء بدورهم يحاولون التحكم في أمهم وأبيهم على السواء.

وحيث لا يتركز السلطان الزوجي في يد رجل عاقل وقوي، تستحيل الأسرة إلى شبه دولة شرقية يتكالب أفرادها على الحكم، وينشرون في أرجائها الفوضى!..

نصف زواج فقط

الرجل المتعلم الموفور الثقافة يميل في الغالب إلى نقيضه، ويود أن يتزوج إمرأة بسبطة العقل، متوسطة العلم، إعتقاداً منه أنه سيكون سيدها، وأنها لن ترهقه بالنقاش والتفكير، وأنها ستمد غرائزه بعنصر النظام، وتجلب إلى حياته مادة الراحة.

ولكن هذا الرجل لا يكاد يقترن بتلك المراة حتى يحس أنه ما يزال وحيداً، وأن شيئاً عميقاً ينقصه، وأنه قد عقد نصف زواج فقط، وأن عقله كجسمه في حاجة هو أيضاً إلى شريك.. وعندئذ يتجهم طبعه، ويفسد خلقه، وتسود في وجهه الدنيا، ويدرك بعد فوات الوقت أنه لن يكون سعيداً مع الزوجة التي إختارها للجسد والراحة إلا إذا إقتدى بها وأخمد في ذهنه شعلة العقل ولاذ براحة الأغبياء المتبلدين الخاملين.

الزوجة هي الخاسرة

أود أن تفهم كل إمرأة متزوجة أن الرجل الذي يطارحها الغرام ويسعى جاهداً كي يصبح عشيقاً لها، هو في الواقع رجل لا يلوح لها بعاطفة الحب، ولا يقول لها أنها جميلة، وأنها صبية، وأنها مظلومة مع زوج غير جدير بها، إلا ليثير فيها حاسة الكبر والزهو والغرور التي يعلم علم اليقين أنها موطن في كل إمرأة، وأنها هي التي ستدفع بها إلى الإرتماء بين أحضانه.

فالعاشق إذن يتملق الزوجة ليلهب غرورها، ويتملقها ليلهب خيالها، كي يسوقها آخر الأمر من طريق التمرد والثورة، إلى التضحية بأعز شيء

لديها أولاً، ثم إلى التضحية بالكثير من واجباتها نحو زوجها، والكثير من واجباتها نحو أبنائها، والكثير من واجباتها نحو المجتمع.

فإذا ما قامت هي من أجل هذا العاشق بكل هذه التضحيات معرضة نفسها لغيرة زوجها وانتقامه، واحتقار المجتمع وبطشه، ظل العاشق الماكر الأناني الخبيث مطلقاً من كل قيد يستمتع بحريته الخاصة، وتستمتع بماله الخاص، ويستمتع بتملصه من المسؤوليات، غير مكلف نفسه بأكثر من أن يردد على مسامع تلك الزوجة المفتونة الحمقاء عبارات الحب والغرام.

فكأنه والحالة هذه يبريء ذمته بالكلام المعسول فقط، ملقياً على كاهل الزوجة التعسة عبء الإضطرابات والهموم والمسؤوليات والتضحيات.

ففي هذه الصفقة المنكرة يربح العاشق كل شيء، في حين تخسر الزوجة شيئاً بعد شيء، مستهدفة آخر الأمر لخسارة العشيق والزوج والأولاد على السواء..

لا تسمم حياتك

في وسعك أن تختار طبيبك وجريدتك وكتابك، ولكنك قل أن تستطيع إختيار الزوجة التي تريد...

وإذا قام بذهنك أن المرة التي جعلت منها المقادير زوجاً لك، ليست هي المرأة التي كنت تطلب، فأنت بهذا الإعتقاد تسمم حياتك

وتصبح ولا ريب أشقي الناس.

فحاول أن تقنع بحظك. وإياك أن تتصرف عن إمراتك قبل أن تجربها طويلًا، وتسوسها طويلاً، وتدنيها منك، وترفعها إليك، وتجتهد في أن تجعل منها الزوجة التي كنت تنشد.

ويعلم أنك لو استبدلت بها غيرها أقرب إلى نفسك وأدنى إلى قلبك، فنفس الجهد الذي تكبدته مع الأولى يجب أن تتبكده مع الثانية ونفس المشقة التي وجدتها في معالجة الأولى لا بد أن تعترضك في معالجة الثانية.

ذلك لأن المرأة في خيالنا شيء وفي حياتنا اليومية شيء آخر. ومهما خيل إلينا أننا نحب إمرأة معينة، وأن هذه المرأة هي ضالتنا، وأن سعادتنا لا يمكن أن تتم إلا بقربها، فلا مفر لنا في حياتنا اليومية من الإصطدام بأخلاقها التي نجهلها، وبشخصيتها العميقة التي لم تفتنا بالأمس إلا لأنها كانت في نظرنا سراً غامضاً.

ففكر طويلًا قبل أن تنصرف عن إمرأتك إلى غيرها، ولا تظن أن حياتك ستصبح سهلة ميسورة لأنك عثرت على إمرأة جديدة تعتقد أنها تحبك وأنك تحبها...

معاملة الزوج

أرسلت إلى سيدة فاضلة تقول: لقد حرت في أمر زوجي وضقت ذرعاً به. فهو عصبي المزاج، سريع الإنفعال، متقلب طائش أحمق عنيد،

فكيف أعالجه، وكيف أقر السكينة في نفسه، وما هي خير الوسائل العاطفية التي أستطيع بها كبح جماح عصبيته، ورياضته على التعقل والتبصر والهدوء والإتزان؟..

وجوابي على هذه السيدة يتلخص فيما يأتي: عاملي نوجك كما لو كان طفلك.. وأغمريه بالحنان والعطف. دلليه ما استطعت. غضي الطرف عن نزواته في بعض الأحايين.. حاسبيه تارة في صرامة وأخرى في رفق ولين. قربيه ثم أعرضي عنه. إزجريه ثم تظاهري بالترفع عليه، أخجليه بشموخك وإخضعبه بعزتك، ولو طمع في صفحك وتمادى في غيه، فإياك أن تلوحي له بالعصا.. بل إحرميه وإحرميه من الحلوى حتى يرتدع.. فالرجل العصبي طفل مريض، وجميع الرجال عصبيون. وكلهم أشباه مرضى، وكلهم أطفال كبار..

مساويء الحياَة الزوجية

الشاب المصري تجاه الزواج

قل أن يتزوج الشاب في مصر بعد حب أو تعارف أو رغبة في التعارف أو الحب. فالحائز الجنسي هو الذي يدفعه إلى الزواج، والفكرة المادية النفعية هي التي تسيطر عليه كلما فكر

في الزواج.

وهو في الوائع يتزوج خوفاً من الوحدة، وهلعاً من الكهرلة، وفراراً من العزوبة، وتطلعاً إلى المال أو الحسب، وتلهفاً على التمتع بالأنثى التي لم يستطع بحكم التقاليد أن يعرفها وأن يتصل عن كثب بها.

فالحياة الزوجية بين الرجل والمرأة لا تمثل في نظره عاطفة مشتركة، وفكرة متبادلة ورابطة وثيقة، وقوة نامية في ظل التفاهم العقلي والنفسي العميق بل تمثل علاقة هوجاء طائشة، علاقة مؤقتة مهددة، علاقة مادية محضة قوامها الشهوة والمصلحة.

وكيف يمكن أن ينظر الشاب المصري إلى الحياة الزوجية بغير هذه العين، وهو يقضي معظم سني شبابه مقصياً عن العائلات، محروماً من المجتمعات، مشرداً في المقاهي، منطوياً على نفسه، متخبطاً في وحدته، يتطلع في لهفة إلى كل عابرة، ويتحرق في جنون على نعمة الإتصال بالمرأة!.

الحق أن الشاب المصري لا يحيا الحياة السليمة التي يمكن أن تمهد للزواج السليم. فهو قد يعرف الشهوة، ولكنه لا يستطيع أن يعرف العاطفة. وهو قد يعرف البغايا، ولكنه لا يستطيع أن يعرف عذاري البيوت. وهو قد يولع بالعاطفة، ولكنه لا يستطيع أن يمثلها إلا في أشخاص البغايا، وهكذا تقتل البغي نفسه، وتسمم عاطفته، وتلوث في خياله صورة المرأة، وتعده للزواج شر أعداد.

فالنزعة الشهوية المجردة التي إعتادها أيام العزوبة، لايمكن إلا أن تقترن في نفسه بالنزعة المادية النفعية كلما فكر في الزواج.

فهو إذن يطلب في الزوجة المتعة ويطلب في الزواج المركز أو الحب أو المال. فالجمال والثراء مثله الأعلى. أما إنسجام الفكر، وتوافق العاطفة، وإشتراك الإحساسات والميول والأهواء وكل ما يمكن أن يهذب القلب ويصقل النفس وبرقع مستوى الحياة الزوجية ويكسبها خصائص التوطد والنمو والبقاء، فأشياء لا تخطر ببال شبابنا، وإن خطرت لهم فلكي يحقروها، ويعيروا الغير بها، ويتخذوا منها أداه تهكم وسخرية.

وليس من شك في أن مثل هذا الزواج القائم على الشهوة والمصلحة، لا بد أن يتصدع. فينفصل الشباب بالفكر والروح عن زوجته، ويرتد ثانية إلى سابق عزلته، ويعود مرغماً إلى حياة المقاهي، بينما تظل زوجته قابعة في بيتها تتبلد على مر الزمن وتترهل، وتستحيل شيئاً فشيئاً إلى حيوان ولود.

هذه هي النتيجة المروعة لمعظم الزيجات التي تتم في محيط ينفر أهله من الجمع بين الجنسين.

فالشاب الذي لم يتصل بالفتاة ولم يعرفها، ولم يقدرها، ولم يتزوجها لنفسها، ولم ينكر في سبيلها دعوة المادة والمصلحة، لا يمكن أن يغريه على الإقتران بها سوى المال، وهكذا تمتاز في الأمة طبقة على طبقة، وتبور الفتيات الفقيرات المجاهدات.

فالفصل بين الجنسين هو علة كل هذا، وأذكر أني في يوم من الأيام كنت أتجول في شوارع القاهرة في صحبة أديب فرنسي كبير هبط إلى مصر لأول مرة. فلما دخلنا شارع فؤاد ومررنا بالمقاهي الغاصة بشبابنا ورجالنا، إلتفت إلى الأديب وقال مستغرباً: «وهؤلاء الرجال، أين نساؤهم؟ فأجبت: «في البيوت! فقال: وهل جرت العادة أن تنتظم في بيوتكم مجتمعات دورية تضم شباب الجنسين للتعارف والزواج؟ فأجبت: «هذا نادر جداً.. فتطلع إلى دهشا وقال: «وكيف تريدون تكوين أسرة وإنشاء أمة وخلق حضارة؟.. كيف يمكن أن يحيا هؤلاء الرجال حياة زوجية خصبة، بل كيف يمكن أن يخلق هؤلاء الرجال علماً وأدباً وفناً وهم بعيدون عن المرأة التي توحي الفكر والحب والعمل والتنافس والنشاط والجمال؟».

وأطرق الرجل وأردف: «إن حياة النوع البشري نفسه لا تتم الا باشتراك الجنسين . كذلك كل جهد بشرى عظيم لا يمكن أن يتم إلا بإشتراك الجنسين. هذه سنة التطور لأنها سنة الطبيعة. فقل لمواطنيك

هذا ونبههم.. أن مصر أمة عريقة في الصحة ولا يليق بها اليوم أن تعيش برئة واحدة!.

تلك هي عبارات الأديب الكبير. فلنرددها، ولننعم النظر فيها، ولنحاول أن نعيش بالرجل والمرأة معاً، بالرئتين السليمتين معاً، إنقاذاً لشبابنا، وتوليداً لأسرتنا وسعياً لتكوين حضارتنا الخاصة ومستقبلنا المجيد.

هل زواج الحب عار؟...

يعقد أرباب الأسر المحافظة عندنا أن الحب جنون وعار. وهذا الإعتقاد لايرجع في جوهره الي شعور بإستنكار الحب في ذاته، بل إلي إستنكار النتائج الإجتماعية المادية التي تترتب عليه. والواقع أن من مميزات الحب عدم الإحتفال بالفوارق الإجتماعية وعدم الإكتراث لتوافق المركز والثروة. وهذا ما يستنكره أرباب الأسر الكبيرة من المحافظين. إذ أنهم لو سلموا بقانون الحب لإضطروا إلى تضحية قانون المصلحة والتسليم بإختلاط الطبقات وديمقراطية الحياة العامة. فالحب في نظرهم جنون وعار لأنه قد ينزل بالفرد عن مركزه الإجتماعي، ويسوقه إلى التزوج بمن هو غير أهل له، ويدفعه إلى مصاهرة أسرة دون أسرته حسباً وجاهاً وثروة. وهذه النظرة في صميمها نظرة أرستقراطية أو إقطاعية تكره العواطف وتضحي بها، ولاتتعلق إلا بتقاليد الطبقة ونفوذها في الحياة الإجتماعية.

فالحب عدو الإمتيازات الطبقية، لأنه عدو الإستبداد ووليد الفطرة

السمحة الحرة.

الزواج في مصر حرب

نحن نعلم المأاة لنخلق لها شخصية حرة وكرامة إنسانية ثم تلقى بها في محيط الزواج جاعلين منها هدفاً لطائفة من الرجال الذين لا ضمير لهم، يهددونها في كل مناسبة بحقهم في الطلاق وتعدد الزوجات، فتفقد المرأة إحساسها بكرامتها وتشعر بأن علمها لا يحميها. وعندئذ تسنخدم علمها وذكائها لا لتوطيد بنيان البيت، ولا للسهر على مصلحة الزوج، ولا للعناية بتربية الأولاد، بل للدفاع عن نفسها في الحرب الزوجية التي لا يكاد يتم الزواج حتى تدور رحاها بين الزوجين كأنهما قد أصبحا بين عشية وضحاها عدوين لدودين.

فالمرأة مهددة في بيتها.. مهددة في أمنها وحياتها. وما دامت تشعر أنها مهددة، فهي تحس أن الزواج رباط وقتي قد ينفصم في أية لحظة..

وهذا هو السر في أنها غالباً ما ترهق زوجها بالمطالب، وتبتز منه المال في غير رحمة، وتسرف في الإنفاق على الكماليات، إعتقاداً منها أنها لو حرصت على مال زوجها فقد يستخدم هذا المال للغدر بها والإنصراف عنها إلى غيرها..

فشعورها بأن الزواج حرب دائمة يجعلها غليظة الفؤاد قاسية نحو زوجها. كما أن هذا الشعور نفسه بدفعها إلى الرغبة الشديدة في الأمومة عساها أن تكل بها زوجها. ومن هنا ينشأ تعلقها البالغ بأولادها وإسرافها

في الحنان عليهم لا في إنتهاج منهج الصرامة في تربيتهم يقيناً منها أنها لو سلكت في هذا المسلك فقد تفقد السند الوحيد الباقي لها عند الشدائد والملمات.

والواقع أن حرب الزواج هذه لابد ان تؤدى إلى حرب أخرى أشد هولًا، عندما يعن للزوج أن يتزوج مرة ثانية بعد أن يكون قد زهد في إمرأته، حرب تنشب بين الأخوة الأشقاء والأخوة الدخلاء تارة، وبين الأبناء والآباء تارة أخرى. حرب قد يصارع فيها الأخوة أخوتهم مدفوعين بنزعة الحقد وعاطفة الغيرة وجنون التنازع على المال. كما يصارع فيها الأبناء آباءهم مدفوعين بعامل الذود عن حياتهم والحرص على مستقبلهم، والخوف على ثرواتهم من التفنت والضياع.

فالزوجة إذن تحارب دفاعاً عن أمنها، والأبناء يحاربون دفاعاً عن حقوقهم، والآباء يحاربون دفاعاً عن شهواتهم.. وهكذا تصبح الأسرة مهددة في حياة من ينشئها وفي حياة الأصلاب التي تنحدر منها.

وما دامت أسباب هذه الحرب الزوجية قائمة، فلا سبيل إلى رفع مستوى الأسرة بحيث تصبح خليقة بأن تكون صورة مصغرة لامة راقية ناهضة.

دكتاتورية الأزواج

إن اكبر جهد ترمي إليه الحضارة هو ضمان مستقبل الفرد، وإنقاذه من عوامل الفاقة والمرض، وإقرار الطمأنينة في حياته بحيث يستطيع أن يحصد في شيخوخته ما زرعه في صباه.

وكلما كان الفرد ضعيفاً كان أحوج ولا ريب إلى حماية المجتمع وحماية القانون.

ونحن في مصر اليوم نتحدث عن حماية مستقبل العامل والفلاح، أو تأمين هذين الضعيفين ضد البطالة والمرض والشيخوخة والإستغلال. ولكنا قل أن نتحدث عن حماية مستقبل المرأة، في حين أنها هي أيضاً ضعيفة بل أضعف وأبأس وأشقى من العامل والفلاح.

والحق أننا قد قطعنا شوطاً بعيداً في ميدان التطور، ولكن المرأة عندنا ما تزال حتى اليوم متاع الرجل، فهو إن شاء أبقى عليها، وقدر جهادها، وضمن مستقبلها، وحباها بالأمن والطمأنينة في ظل الأسرة، وإن شاء أعرض عنها. ولفظها، وتزوج عليها. أو إستبدل بها غيرها، ثم ردها هي وأبناءها دون ما رادع من عاطفة أو وازع من خلق أو ضمير.

فالرجل في الأسرة هو السيد المطلق، هو الدكتاتور الأعلى، هو الخصم والحكم، هو وحده الذي يقرر، وهو وحده الذي يفصل، وهو وحده الذي يطلق، وهو وحده الذي يتمتع ويشتار العسل من كل زهرة كيف شاء.

فنزوة الرجل هي المتحكمة في مصير المرأة ومصير الأسرة، وما إنحلال الروابط العائلية، وفساد أخلاق بعض النساء، وتشرد الأطفال في الشوارع، وكراهية أبناء الأسرة الواحدة بعضهم للبعض الآخر، إلا النتيجة المحتومة لتلك النزوة المروعة تعصف بلب الرجل، فتلهب إحساسه بسلطانه المطلق، وتضرم في صدره أنانيته الجنائية، وتوقظ فيه شهوة

الحيوان، فيهدم صرح أسرته بكلمة، ويقوض بكلتا يديه ما كان قد بناه بعقله ولحمه ودمه.

فالرجل عندنا قوة لا ضابط لها. قوة أطلقناها على غير هدى، وكل قوة غاشمة عمياء لابد أن تؤدي إلى الدمار والخراب.

فإذا شئنا العمار لبيوتنا، والعفة لنسائنا، والصون لأعراضنا فلنبدأ بحماية المرأة من أنفسنا.

ولن تثمر هذه الحماية إلا بتشريع بهذب من نفس الرجل، ويكبح من غرائزه، ويحد من سلطانه، ويشعره بأن إمرأته ليست متاعاً له بل شريكة لحياته مساوية له في الحقوق والواجبات.

ومتى تم ذلك إرتقينا بشخصية المرأة، وأيقظنا فيها إحساس المسئولية والكرامة، وأمناها على مستقبلها، وأنقدنا الأسرة المصرية التي يجب أن تكون صلبة الدعائم وطيدة البنيان لتكون بحق صورة مصغرة للوطن!.

الضمان الإجتماعي للمرأة

قالت لي احدى السيدات المصريات في صراحة مروعة:

ما دمت أشعر أن زوجي يستطيع في أية لحظة أن يطلقني أو يتخذ علي زوجة ثانية، فأنا أعتبره خصمي، ولا أستطيع إلا أن أحاربه بأسلحة ثلاثة دفاعاً عن نفسي:

أولًا – أعقب منه أكبر عدد ممكن من الأطفال لأرهقه بأكبر

مسئوليت ممكنة..

ثانياً – أنفق أمواله أولًا بأول لاحول بينه وبين التفكير في الزواج من إمرأة ثانية..

ثالثاً– أغافله جهدي ثم أوفر من ماله لنفسي كي أجمع مبلغاً خاصاً أحمي به ظهري في حالة ما إذا إنصرف عني يوماً وطلقني...

هذه هي مأساة الحياة الزوجية في كثير من بيوتنا.

فثقة المرأة في زوجها ومستقبلها معدومة. وإنعدام هذه الثقة يفسد أخلاقها، ويلوث ضميرها ويجعل منها عدواً للرجل لا زوجاً له.

ونحن اليوم ننشد الضمان الإجتماعي للشعب. ولكن واجبنا أولًا وقبل كل شيء أن ننشد هذا الضمان للزوجة والأم التي عليها أن تربي هذا الشعب.

فضمان مستقبل المرأة، هو ضمان لمستقبل الأسرة، وضمان لمستقبل الشعب!.

من هو المسلم الحق؟

إن من لا يفهم حكمة الشرع، ولا ينعم النظر في حقيقة مبادىء الدين الحنيف، فيطلق العنان لغرائزه، ويستبيح لنفسه الطلاق لأتفه الأسباب، والتمتع بعدة زوجات دون ما وازع من خلق أو ضمير، لا يستطيع أن يفهم لا عاطفة الحب الإنساني ولا مبدأ العدل الديني.

والواقع أن الدين يأمر بالمحبة والعدل. وما طريق المحبة والعدل

إلا الإخلاص لإمرأة واحدة، والإحتفاظ بهذه المراة موفورة الكرامة، مطمئنة على مستقبلها بوصفها زوجة وأماً.

فالرجل الذي يسلك هذا السبيل هو المسلم الحق. وهو الإنسان المتمدين الصحيح الذي يدرك أن المرأة لن تؤدي ما عليها من واجبات على الوجه الأكمل إلا مني قدر الرجل شخصيتها ووطد مركزها الإجتماعي، واعترف بحقها المشروع في المحبة والعدل والأمن في دائرة الأسرة.

مقطوع من شجرة

من الظواهر الملحوظة في معظم نسائنا، أنهن يرغبن في أن يكون زوجهن المنشود رجلًا مقطوعاً من شجرة لا أسرة له ولا أهل..

فالحماة تمثل في نظرهن المرأة البغيضة التي تشاركهن في حب الرجل، وأخت الزوج تمثل العقرب المرهوبة التي لا تنفك تتحين الفرص لتلسع وتنفث السم، وعائلة الزوج بأسرها تمثل رهط الأجانب الدخلاء الذين يعكرون صفو الحياة الزوجية، ويأبون أن يحتفظوا بما كان لهم على الزوج من حقوق وما كان عليه لهم من فروض وواجبات.

فالمرأة المصرية تود في الغالب أن تنتزع فروع الرجل من أصله، أن تسيطر على كل شيء فيه على ماضيه وحاضره ومستقبله وعلى عقله وقلبه وماله، بحيث يصبح لها وحدها كأنما هو قد خلق خلقاً «شيطانياً»، عجيباً، في أرض مجهولة وحشية قفراء، ليكون لها وحدها..

والحق أن هذه النزعة، نزعة حيازة شخصية الرجل، وكراهية الروابط الوثيقة التي تربطه بأهله وعشيرته، لم تكن من القوة عند نساء الجيل الماضي بقدر ما أصبحت عليه اليوم.

فالمرأة بالأمس كانت في الغالب زوجاً ووالدة، وكانت قنوعاً وطبعة ولينة، وكانت جل رغباتها تنحصر في توسيع أفق حياتها بالإندماج قدر الطاقة في حياة أسرة زوجها. أما اليوم فالمرأة وقد خرجت من البيت وعرفت الملاهي، وعرفت الموضات وعرفت الحضارة، وتشبعت هي الأخرى بفكرة الحرية ومبدأ الإستقلال، أصبح همها الأول والأخير أن تستقل في حياتها، وتنفرد بزوجها، وتقطعه من شجرته، وتباعد بينها وبين أهله عساها تستطيع بهذه الحيازة أن تستولي على قلبه كاملًا، وعلى جيبه كاملًا، فتظفر من عواطفه بأقصى الحب، وتظفر من ماله بأقصى ما يمكن أن تتمتع به من مباهج الحياة العصرية ومفاتنها الرائعة..

ونحن لايمكن أن نلوم المرأة الحديثة على مجرد رغبتها في الإستئثار بزوجها، فهذا حقها المشروع، ولكن ما نأخذه عليها هو الإسراف في التسلط، والإسراف في الأنانية، والإسراف في الحيازة إسرافاً مقروناً بالعداء لأهل الزوج، والبغض لعشيرته، والكيد لأقاربه، وإثارة الضغائن والأحقاد بينه وبين أعز الناس عليه.

فهي تقول لزوجها: إما أنا وإما أهلك. وهي تلقى في روع زوجها أن أبلغ دليل على حبه لها هو إقدامه على التضحية بأهله من أجلها. فلو إمتثل وأطاع، فرحت بذله، وإبتهجت بضعفه، وأمعنت في التسلط عليه،

ولو أحجم وتردد، تبرمت به، وتجهت له وكشرت عن أنيابها، وراحت تتهم حبه بالفتور، وأخلاقه بالغدر، ورجولته بالأنانية والقسوة والخور والإستخذاء...

وهكذا تتمزق حياة الرجل بين ماضيه وحاضره، فيفقد نفسه، ويفقد سكينته ويلعن اليوم الذي تزوج فيه.

على أن ثورته لابد أن تنقلب وبالًا على إمراته نفسها، لابد أن بكرهها كائنا ما كان حبه لها. إذ الرجل في أعماق نفسه لا يستطيع أن يحب إمرأة لاتحب أهله، ولا يستطيع أن يؤمن بإخلاص إمرأة تبغض من أوجده، ولا يستطيع أن يحترم أو يقدر إمرأة تمنعه من تأدية واجبات لا تقل قداسة عن الواجبات المفروضة عليه نحو زوجته وأبنائه، فهو يطلب إلى إمرأته أن تصل بينه وبين أهله لا أن تقطع. يطلب إليها أن تنبهه إلى واجبه إن نسيه، وأن تدفعه إليه إن قصر فيه، وأن تذكره من تلقاء نفسها بما لأمه وأبيه وأسرته عليه من حق الرعاية والعطف والإهتمام.

وهذه في الواقع هي الفضيلة الأولى التي ينشدها الرجل في زوجته. هي الفضيلة الغالية الثمينة التي يعلم علم اليقين أنها لو توافرت في إمرأته فسوف تنبع منها وتصدر عنها مختلف الفضائل جميعاً.

فعلى المرأة أن تفهم والحالة هذه أن الرجل كان إنساناً قبل أن يعرفها. وكان منحدراً من أسرة قبل أن يتزوجها. وكان متصلًا بالحياة الخاصة والعامة قبل أن يتصل بها.

عليها أن تفهم أن من المستحيل عليها أن تقطع الرجل من شجرته

لأنه من حب هذه الشجرة التي تفرع منها.. يستمد حبه للشجرة التي يريد بدوره أن يغرسها..

هذه هي الحقيقة، فلتسلم بها المرأة عن طواعيه ورصى ولتعلم أن الرجل الذي لاخير فيه لأهله، لاخير فيه لإمرأته وأبنائه.

ومتى أدركت المرأة هذه الحقيقة، وأحيت أهل زوجها، أقبلوا عليها من تلقاء أنفسهم، وإضطروا أن يبادلوها حباً بحب وهكذا تخدم نفسها، وتكسب زوجها، وتبني أسرتها الجديدة لأعلى الأنانية والحقد، بل على دعامة وطيدة من روح الألفة والمحبة.

إعتزاز المرأة بأهلها

المرأة في بعض أوساطنا لا تفكر في أن تقطع زوجها من شجرة أسرته فحسب، بل في أن تضمه إلى أسرتها وأهلها هي.

فواجب الزوج في نظرها هو أن يقترن بها وبعائلتها. أن ينقطع للإهتمام بها والإهتمام بأقاربها، أن ينفق عليها ولا يتردد عند الإقتضاء في أن يسخو أيضاً على كل من يتصل بها.

والعجيب في أهل الزوجة أنهم يعتبرون حيازة الزوج حقاً مشروعاً لابنتهم ولهم. فتراهم، إذا ما قصر الزوج في مجاملتهم والتودد لهم والتهافت على خدمتهم، أو إذا أخطأ ولو مرة وغلب مصالح أسرته على مصالحهم، تراهم يتبرمون به، ويتجهمون له، ويوفرون عليه صدر إمرأته، ويدفعون بها آخر الأمر إلى التمرد عليه والإنفصال عنه.

فالمراة عندنا لفرط شعورها بسلطان الرجل عليها، وإحساسها بنقص عوامل الأمن في بيتها، وخوفها من سيف الطلاق وتعدد الزوجات المصلت عليها، تلوذ بأهلها وعشيرتها، فيستغل أهلها موقفها، ويتحالف الجميع على رياضة الزوج وإخضاعه، بحيث لو انتقض وثار، سمموا حياته، وحطموا بيته، وثأروا منه ولو على حساب مصلحة ابنتهم ومستقبل أولادها.

والواقع أنه لا سبيل لتحرير المرأة من سلطان أهلها، وحفزها التعلق بزوجها وأولادها، وحثها على الدفاع عن بيتها ضد مكائد أهلها، إلا بإلغاء حق زوجها في الطلاق وتعدد الزوجات، هذا الحق الذي يستخدمه الكثيرون في أنانية وحشية هي والإجرام سواء.

ومتى شعرت المرأة بأن القانون يحميها، وأن زوجها لها، وأن مستقبلها ومستقبل أبنائها مكفول ومأمون، فهي لابد أن تؤثر زوجها على أهلها، ولابد أن تفهم أن زوجها هو الباقي لها، ولابد أن تستخدم من تلقاء نفسها كل ذكائها وكل عبقريتها للذود عن بيتها، والحرص على زوجها.

أزواج ينتحرون

ليس شك في أن الرجل ينشد في الزواج فضيلة النظام، ومتعة الصحة، ولذة الراحة، وحلاوة العيش بجوار إمرأة، ونعمة تجديد الحياة الخاصة في حياة عامة ممثلة في الأسرة والأطفال.

ومع ذلك فهناك ضرب من الرجال يأبى ألا أن يجعل من الزواج

وساطة للموت وأداة للإنتحار.

وقد اتفق لي هذه الأيام أن تعرفت إلى رجل من هؤلاء. رجل ضاق ذرعاً بنفسه، وضاق ذرعا بحياته، وتمثلت فيه مختلف الرذائل الملحوظة في الرجال المولعين بالإنتحار في دائرة الزواج، فروعني إنحطاطه وأذهلني تدهوره.

ولابد أن يتساءل القاريء: من هم أولئك الرجال المولعون بالإنتحار في ظل الزواج، وكيف يمكن أن يتخذ الرجل من الزواج أداة للموت في حين أنه قد أقبل عليه إبتغاء للحياة؟.

هذا ما سأجيب عليه:

هناك طائفة كبيرة من شبابنا ورجالنا، تندفع إلى الزواج إندفاع المتلهف المتحرق المحروم، ولا تنظر إلى الحياة الزوجية إلا بعين البدن وغريزة الحيوان.

فالزواج عندهم هو الحياة الجنسية فقط. حياة جنسية مطلقة من كل قيد، حرة من كل أسار، يقرها المجتمع، ويحترمها الناس، ويشجع عليها القانون.

والزواج عندهم فرصة أبدية للتمتع.

فأبدانهم هي التي تسيرهم، وبطونهم هي التي تشغلهم، وغرائزهم هي التي تقلقهم، وإرواء هذه الغرائز في قوة وعنف هو فخار حياتهم، وهو في نظرهم، غرض الزواج الأول والأخير.

وما دام التمتع بنطلق في جو هادىء ساكن يرعاه الحلال، فهم يندفعون إليه، ويسرقون فيه، ويتكالبون عليه، كأنما المرأة التي ألقتها المقادير بين أيديهم، لم تصبح حلالًا لهم، إلا كما تصبح القنيصة حلالًا لصيادها، أو السبية حلالًا للغازي الطاغية.

وهكذا تعصف الغريزة بهم، وتختم على بصيرتهم وأبصارهم وماتزال بأبدانهم تجهدها، وبأعصابهم ترهقها، وبأذهانهم تضمنها وتوهنها، حتي يشعر أقواهم بدناً، وأصلبهم عوداً، أنه في حاجة إلى قوى صناعية مجلوبة تستطيع أن تمكنه من قهر ضعفه، ومواصلة التمتع باللذة التي استحوذت عليه كمرض عضال..

وعندئذ يبدأ عهد التحول، ويحس هذا الزوج أنه كان ينتحر في بينه إنتحاراً بطيئاً، فيضطرب ويفزع، ولكنه بدل أن يلوذ بالحكمة، ويأخذ بالإعتدال والقصد، يهرع إلى شتى صنوف المخدرات والمكيفات والمنبهات، يحاول أن يوقظ بها أعصابه، ويلهب حواسه، فينحط عقله ، ويتبلد ذهنه، وتنهار أعصابه وتنتابه الوساوس الغريبة والمخاوف المقلقة، والإنفعالات العنيفة، وسائر أعراض النورستانيا الجنسية التي تقضي على الإرادة قضاء مبرماً وتجعل من المريض شبه ميت في صورة إنسان حي؟...

ذلك هو مصير كل زوج بأبى ألا أن يتخذ من زواجه حافزاً لغرائزه.

على أنه فوق ذلك يلوث إمراته ويفسدها ويشوه طباعها ويمسخها، ويغريها بالخلاعة، وينحرف بها عن الطريق السوي.

ولاريب في أن الأسرة، بين هذين الزوجين، تنتحر هي أيضاً إنتحاراً يومياً بطيئاً، يتمثل في ضعف النسل وإنحطاطه وتدهوره من الناحيتين الجثمانية والعقلية.

وإذن فالتهافت على المتعة في ظل الزواج، مسألة لا تتعلق بالفرد فقط ولا بالأسرة فقط بل بصحة المجموع وسلامة الجنس.

وهذا هو الخطر.. خطر يهدد سلامتنا، ويهدد عبقريتنا، وينذر أجيالنا المقبلة بشر مستطير.

فعلى المصابين بهذا الداء أن يفهموا أن المتعة الزوجية يجب أن تقترن بتهذيب الفطرة وإحترام الجسد.

ذلك لأن غاية الزواج هي الصحة والقوة. الصحة والقوة للفرد والسلالة والمجموع. ولا صحة ولا قوة إلا في التعفف، التعفف العاقل الرشيد الذي لا ينحدر إلى التقشف والزهد بل يسمو إلى الحياة الراقية المتحضرة فيأخذ من الملذات المادية بقسط، ليستطيع أن يأخذ من الملذات المعنوية بأقساط.

تلك هي غاية الزواج وغاية الحياة، وكل من يخالفها أو يحاول أن ينشد غيرها، يسلك طريق الفوضى، الذي لا يمكن أن يؤدي إلا إلى الإنتحار والموت.

زوجات مفترسات

من زوجاتنا من يشبهن الملائكة عفة ووداعة وسحراً، ومنهن من

يشبهن الشياطين مكراً ودهاء وخبثاً، ومنهن من يشبهن الوحوش غلظة وقساوة وتهماً وشراً.

ولن أحدث القاريء هنا عن الزوجات الملائكة، ولاعن الزوجات الشياطين، بل عن أولئك الزوجات المفترسات اللواتي يخيل إلى الرجل أنهن قد أطلقن عليه من أعماق غابة كثيفة تصرح فيها الضواري.

والزوجات المفترسات مخلوقات عجيبة لا تفهم الحب ولا تعرف الحنان ولا تشعر بالأمومة. مخلوقات وجدت في هذه الدنيا لتأخذ دون أن تعطي، وتنعم دون أن تعمل، وتتمتع دون أن تنفق، وتبطش دون أن تحفل.

فالحياة في نظرها أفراح متجددة، وملذات متعاقبة، وعرس دائم يجب أن يدفع الزوج تكاليفه من حبة عينه، ودم قلبه، وعرق جبينه، وقوة ساعده.

والواقع أن المرأة المفترسة لا تتزوج رجلًا، بل تريد أن تتسلط على رجل، يحيله جبروتها المروع إلى محض وساطة للمتعة، وأداة للإستغلال.

فهي لاتحب زوجها إلا بمقدار مايعطيها، ولا تخلص له إلا بمقدار مايغدق عليها، ولا تتعلق به إلا متي اعتقدت أن في وسعه أن يميزها على أترابها جميعاً.

فالزوج عندها لايقدر إلا متى كان بقرة حلوباً، أو آلة تضرب نقوداً، أو منجماً حياً تستخرج منه شتى الكنوز.

وما كنوزها إلا المناعم الدنيوية، والمباهج المادية، ومختلف ألوان الترف العصري والزخرف الكمالي، تتهالك عليها تهالك الفراش على النار.

والحق أن تلك الزوجة لا تعاشر زوجها إلا لتسرقه، ولا تمكنه من نفسها إلا لتنهيه، ولا تمنحه شيئاً من ذاتها إلا لتبتزه وتعصره و«تقطعه»..

فهي تساوم على نفسها، وتساوم على محاسنها، وتساوم على حق زوجها عليها، ولا تنفك تلف وتدور، وتعرض وتجفو، وتتمتع وتتدلل، وتشترط وتحاسب، حتى يدفع لها الزوج الثمن فتفرح، كما تفرح غانية مدرية أنشبت في الفريسة مخالبها.

على أن مثل تلك الزوجة شر على الرجل من الغانية. فالغانية. «تقطع»، لتعيش، والغانية «تقطع»، لفترة عابرة من الزمن، أما تلك الزوجة فتأبى إلا أن «تقطع»، الرجل العمر كله، وتستنزف جهوده الحياة بأسرها.

وهكذا يستحيل الزواج في نظرها إلى وسيلة مشروعة للتمتع من طريق السلب، فتقسو نفسها وتغلظ عواطفها، وتموت أنوثتها ويتولد فيها إحساس خفي بالكراهية، سرعان ما ينقلب إلي

عداء صريح لزوجها لو اضطرته الظروف إلى التهاون أو التقصير في تلبية مطالبها.

وعندي أن هذه الروح، روح الطمع والجشع والإستغلال المتمكنة

من نفوس تلك الطائفة من الزوجات المفترسات، إنما تصدر عن نقص خطير في التربية ونقص خطير في العوامل النفسية الممهدة للزواج.

وليس شك في أننا لا نربى بناتنا التربية الصالحة لحياة البيت والأسرة. فنحن مازلنا نقيم الزواج على أساس المصلحة ونزين لبناننا كل زواج ينهض على المال والجاه والمصلحة.

فكيف يمكن أن تحرص المرأة على مال زوجها، وكيف يمكن أن تخلص لمصلحته ومصلحة بيتها وأولادها، وكيف يمكن أن تتخذ من فضيلة النزاهة شعاراً لها، ونحن قد غرسنا في نفسها حب المادة، وسممنا قلبها بإغراء المال، وعلمناها أن تغلب مصلحتها الشخصية على مصلحة البيت والأسرة..

هذا مايتعلق بالنقص العميق في التربية، أما فيما يتعلق بنقص العوامل النفسية الممهدة للزواج، فنحن مازلنا حتى اليوم نعيش في مجتمع مغلق، لا يسمع فيه بإختلاط الجنسين حتى في حدود الرقابة والحشمة، فكيف يمكن والحالة هذه أن تنشأ بين الشبان والفتيات عواطف أسمى من المادة ورغبات أنبل من المصلحة، وميول وإحساسات عقلية ونفسية، تحل محل المال، وينهض عليها مستقبل الحياة الزوجية!..

الحقيقة التي لاريب فيها أن كل زواج يُبنى على المصلحة المادية فقط، ويتم بدون تعارف عقلي، وتفاهم نفسي، وتوافق عاطفي، لابد أن يثمر آخر الأمر أزواجاً مستهترين غادرين، وزوجات متوحشات مفترسات!.

الزوجة المنشودة

المرأة عندنا لا تكاد تتزوج حتى تقنع وتجمد، فالتطور يحنقها، والتبدل يغيظها، وواجب الإبتكار والتجديد في شخصها وحياتها يرهقها ولا تحس له أي نفع أو معنى.

وقد تشعر مثل هذه المرأة أن عين زوجها قد ألفت جمالها فلا تحفل، وأن زوجها قد بدأ يسأمها فلا تأبه، وأنه يطالبها بتجديد أخلاقها وطباعها فلا تفهم، وهكذا تخدعها راحتها، ويعميها غرورها فتستفيق ذات يوم وإذا بقلب زوجها قد إنصرف عنها.

فالجاذبية النسوية التي تذهل الرجل وتفتنه، وتأسر قلبه وتخضعه، لا تتبع في الغالب من سحر الجمال المادي، بل تصدر في الحقيقة عن قدرة المرأة على المسايرة والتطبع، والإستجابة الدائمة لمختلف العواطف والأفكار التي تجيش بها نفس الرجل.

والرجل في الواقع لا يتزوج إلا فراراً من الوحدة. ولكن الزواج نفسه ضرب من الوحدة. فالمهمة الملقاة على عاتق المرأة هي أن تملأ ما استطاعت فراغ هذه الوحدة، فكيف يمكنها أن تؤدي هذا الواجب إذا جمدت على حال، وثبتت على لون، ولم تسع جاهدة لتجديد أخلاقها، وتجديد أفكارها، وتجديد شخصيتها، والتكيف بشتى أوضاع الحياة التي يمكن أن يطمح إليها زوجها؟..

إن جمود شخصية المرأة هو الذي يدفع الرجل إلى غيرها، وتشابه أخلاقها هو الذي يغريه بسواها، وعجزها عن التغير والتبدل هو الذي

يسوقه في معظم الأحيان إلى خيانتها، بالغة ما بلغت من الحسن، وكائنا ما كان جمالها المادي.

ومن النساء من يشعرن بضرورة التطور والتبدل إحتفاظاً بتأثيرهن في الرجل. ولكنهن في الغالب لايبدلن غير مظهرهن، ولا ينوعن غير زينتهن، ولا يغيرن سوى الإطار الذي يستطعن أن يبرزن به محاسنهن.

فالمهم عندهن تنوع الفتنة المادية التي تخلب حواس الرجل، لا تنوع الفتنة الروحية التي تخاطب قلبه وعقله.

بيد أن الرجل مادة وروح، جسد وقلب. وهو أن أعجب بها في المرأة من قدرة خارقة على تجديد محاسنها البدنية، يظل مع ذلك متبرماً بها، نافراً منها، حتي تفهم نفسه، وتدرك سره، وتهذب أخلاقها وتصقل طباعها، وتجدد محاسنها المعنوية، فتشيع فيه رغبة الجسد ورغبة الروح.

فالجهاد المطرد لتجديد محاسن الجسم والنفس هو الذي يمكن المرأة من السيطرة على قلب الرجل. ولقد قال لي بوماً أحد الأدباء يصف زوجة صديق له: «إن محمود صديقي يحب زوجته روحيه إلى حد العبادة، ولكنه لا يدري سر هذا الحب. أما أنا فأعرف لماذا يحبها.. أنه يحب روحيه

لأنها إمرأة تأبى عليها كبرياؤما أن تكون إمرأة واحدة. إنها عدة نساء في إمرأة.. إن جمالها المادي لا ينفك يتبدل ويتخذ أبدع الصور وأفتن الألوان، أما جمالها الروحي فيتجدد دائماً بحسب تجدد نظرتها إلى نفسها وإلى زوجها والى الحياة. فهي إن أحست في شخصها عيباً

سارعت إلى إصلاحه، وإن لمحت في زوجها تطوراً سبقته إليه، وإن إصطدمت في المجتمع بالتجارب أفادت منها، وإن عثرت في الحياة على فضيلة إلتقطتها، وضمتها إلى كنز فضائلها الثمين. فحياتها دائمة التغير ولكن إلى أجمل، وفتنتها دائمة التحول ولكن إلى أروع وأنبل!».

تلك هي المرأة المنشودة بل تلك هي الزوجة المثلى التي لا يمكن أن يزهد فيها أي رجل.

المرأة المصرية وعاطفة الأمومة

لا أعتقد أن في العالم كله إمرأة تحب أبناءها كما تحبهم المرأة المصرية...

ولكن ليست العبرة في أن نحب أبناءنا، بل العبرة في أن نعرف كيف نحبهم، بحيث نستطيع أن نستمد من هذا الحب قوة تمكننا من تهذيب أخلاقهم، وتنمية إرادتهم وتثقيف عقولهم، وإعدادهم لحياة موفورة الكرامة والحرية.

فهل تعرف المرأة المصرية كيف تحب أبناءها، وهل وعي الأمومة متيقظ فيها، وهل هي تقوم بواجب الأم على خير وجه وأكمله؟..

الواقع أن المصرية تحب ابنها، في الغالب حباً عنيفاً مبرحاً، حباً طاغياً جارفاً، حباً عاطفياً مطلقاً، حباً غريزياً أعمى، كثيراً ما ينقلب إلى ضده، ويؤدي إلى عكس الغرض المنشود منه.

فالحب في نظرها هو الإسراف في الحنان، والإسراف في التجاوز،

إلى حد التعصب لكل ما يصدر عن ابنها، سواء أكان خيراً أم شراً، فضيلة أم رذيلة.

فهي لفرط حبها، لا تهتم إلا بشيء واحد. هو إسعاد ابنها. ومعنى هذه السعادة عندها، أن تساير الطفل في نزعاته، وتمكن له من مشتهياته، وتمالئه على رذائله، كأن كل رغبة له يجب أن تكون أمراً، وكل شيء فيه يجب أن يكون فتنة وسحراً..

وقد يكون والد الطفل صارماً فتتهمه الأم بالقسوة. وقد يكون مربياً حكيماً فتنسب إليه الشدة والغلظة، وقد يوفق في تهذيب ولده، فتفسد الأم عمله، وتهدم بعطفها الطائش كل ما كان قد ابتناه.

هذا هو أسلوب معظم المصريات في حب أبنائهن. وإليه يرجع ولا ريب، ذلك الضرب من «الميوعة» الملحوظ في بعض رجالنا، وذلك اللون من الخنوثة المتأصل في بعض شبابنا، وذلك الإحساس العميق بنقص قوي الشجاعة والصلابة، الذي نشعر به جميعاً، ساعة الخطر والشدة، جاثماً في صميم نفوسنا.

فإسراف الأم المصرية في حب ابنها حباً خالياً من العقل، بعيداً عن الفكر، مفتقراً إلى عنصر الرقابة والإرادة والحزم، يجرد الرجل فيما بعد من سلطانه على نفسه وحكمه على تصرفاته، وقدرته على كبح غرائزه، واستطاعته النهوض بشتى المسؤوليات التي تلقيها الحياة على عاتقه.

فكان الأم المصرية تحب ابنها لنفسها، وللذتها، ولمحض ما تولده فيها الأمومة من شعور بالكبرياء والزهو، بصرف النظر عن مصلحة ابنها،

وما يمكن أن يخلفه حبها من أثر وبيل في حياته المستقبلة.

على أننا، أنصافاً للمرأة المصرية، يجب أن نصارح بأن نظام حياتها هو الذي يدفعها في الغالب إلى هذا الطيش والجموح في حب أبنائها.

فهي لكل النساء نزاعة إلى الأمن، تواقة إلى الهدوء والإستقرار. ولكنها تعيش وسيف الطلاق مصلت في يد الزوج فوق رأسها، يهدد بيتها، ويهدد أمنها، ويملأ نفسها خوفاً من الخيانة، وتوقعاً للغدر.

لذلك هي تجمع كل قوى عواطفها، وتركزها في شخص ابنها. فتسرف في حبه، وتسرف في تدليله، وتسلس له القياد. وتترك له الحبل على الغارب، عسى أن تريحه لنفسها، وتضمنه لمستقبلها، وتلجأ إليه في الساعة المرهوبة التي يمكن أن تفاجأ فيها بغدر زوجها.

فسلاح الطلاق المشهور أبداً في وجهها، يسوقها بالرغم منها إلى التعلق بابنها، والإفراط في حبه وتدليله. وهكذا تنقذ نفسها ومستقبلها ولكن على حساب تربية أبنائها.

وليس شك في أننا لو قيدنا الطلاق، وأحكمنا الروابط العائلية بين الرجل وإمرأته، فلابد أن تشعر الزوجة بنوع آخر من الحب الأموي، ولابد أن تدرك أن من واجبها أن تكون عاقلة في حبها، رشيدة في عطفها، صارمة في حنانها، قاسية في تربية أبنائها، إعتماداً منها على بقاء زوجها بجانبها، يرعى مستقبل الأسرة ويشرف بنفسه على مصيرها.

مأساة زوجة مصرية

ما كنت أتصور أن تذهب القسوة والخيانة والندالة برجل إلى حد البطش بإمرأته بعد حياة زوجية طويلة إستغرقت أكثر من ثلاثين سنة.

والحق أني لم أصدق أن مثل هذا الرجل يمكن أن يكون موجوداً، حتى عرفت إمرأته المنكودة الحظ، وإلتقيت بها، وسألتها عن حالها، ولست في بؤسها المروع فظاعة المأساة التي عصفت بها.

هي إمرأة في نحو الثامنة والأربعين من عمرها، تزوجت منذ أكثر من ثلاثين سنة بكاتب محام، وأعقبت منه طفلين ذكراً وأنثى.

وعاشت المرأة في صحبة زوجها وولديها أسعد ما تكون بحياتها البيتية وأخلص ما تكون لقرينها، وأقدر ما تكون على إحتمال ذل الفاقة، ومرارة الحاجة، وهم الإقتصاد والتقتير في سبيل ضمان مستقبلها ومستقبل ولديها.

وشب الولدان وترعرعا. واستطاع الزوج بفضل حنكة إمرأته وتدبرها أن يعلم ابنه ويوظفه، ويزوجه، وأن يعلم ابنته أيضاً، ويعثر آخر الأمر على زوج لها.

وهكذا جرت الحياة في هذا البيت مجراها الطبيعي الأمين، في رعاية تلك الأم الوفية المخلصة التي ضحت بشبابها وقوتها وزهرة عمرها من أجل الآخرين. ولكن زوجها، زوجها المتحجر القلب، الهامد الحس، الميت الوجدان، أنكر عليها وفاءها، وأنكر عليها تضحياتها، وأنكر عليها

حقها المشروع في التمتع بثمرة جهادها، فأبى إلا أن يطعنها في الصميم، وهي مسلوبة الحول طائرة اللب، تتجه بخطى حثيثة نحو الشيخوخة والمرض.

هام الكهل حباً بفتاة أصغر سناً من ابنته، وعبثت الشهوة بعقله وقلبه فما كان منه إلا أن صارح إمرأته بأنها لم تعد تصلح له، وأن لا حاجة له الآن بها بعد أن ربت له ولديه وزوجتهما...

وثارت ثائرة المرأة وجن جنونها ولكن الرجل لم يرحمها، وبعد ثلاثين سنة من زواجه بها، طلقها بالفعل، طلقها في لحظة واحدة وتزوج بالأخرى...

وهنا بدأت المأساة...

لجأت المرأة إلى منزل ابنتها فتنكر لها زوج البنت ولم يحتملها أكثر من أسبوع وصرفها. وهرعت إلى بيت ابنها فتنكرت لها إمرأة الابن ثم طردتها فلم تستطع المسكينة التي فقدت زوجها، وفقدت بيتها، وفقدت ولديها، إلا أن ترضى بحياة البؤس والتشرد بعد طول الصبر والألم والكفاح والتضحية.

ولقد رأيتها بعينى رأسي تمد اليد لابنها وابنتها مستجدية، ثم تجمع منهما بعض النقود، وتشتري بها صابوناً، تبيعه للأصدقاء والجيران، عساها تستطيع أن تصون كرامتها، وتستغني عن المساعدة حتى من ولديها.

هذه هي الأم المصرية المجاهدة التي إنهارت حياتها في لحظة واحدة وذهبت كل تضحياتها هباء...

هذه هي الفريسة، فريسة حق الطلاق يمنح للرجل بلا ضابط فيستخدمه في إشباع شهواته دون ما وازع من خلق أو ضمير.

فأين من بضع حداً لهذا؟....

أين من يضمن مستقبل المرأة، ويصون وحدة الأسرة، ويحمي البيت المصري من الخراب؟...

أين هي وزارة الشئون؟..

أنانية المتعلمين

كانت المرأة المصرية في العهود الماضية تعيش لخدمة زوجها وأولادها فقط. أما اليوم فهي تود أن تعيش لنفسها أيضاً. بمعنى أنها تريد أن تشعر بأن لها عواطف وأفكاراً وشخصية مستقلة يجب أن يحسب الزوج حسابها، ويقدرها قدرها، لتستطيع أن تندمج في شخصيته وتشاركه في كل شيء، في الحقوق والواجبات، كما في الأفكار والعواطف.

فالمرأة المصرية الجديدة قد تعلمت وتطورت، ومهمة الزوج المصري أصبحت عسيرة وشاقة ومعالجة الحياة الزوجية وفق الأساليب القديمة، ولا سيما مع إمرأة متعلمة، هي الآن ضرب من المحال...

فالزوج المصري القديم الذي كان يتصور أنه متى استجاب المطالب بيته المادية فقد أبرأ ذمته، ومتى أنفق على بيته جهده فقد

أرضى ضميره، ومتى أدى فروضة الزوجية فقد أرضى إمرأته، هذا الزوج الذي كان يوفر للبيت حاجاته كي يوفر لنفسه حرية اللهو والمرح والتمتع خارج البيت، أصبح اليوم بفضل تطور المرأة مرغماً على ضبط غرائزه، مجبراً على الحد من حريته، مدفوعاً إلى الحياة المنظمة في بيته، مسوقاً إلى الإعتراف بشخصية إمرأته، وإلا ثارت في وجهه ثورة ما كانت التفكر فيها نساء الجيل القديم أبداً...

ومع ذلك فسر المنازعات التي تقع في بعض الأسر الجديدة عندنا، يرجع إلى أن هناك نوعاً من الرجال المصريين المصريين المتعلمين، ما يزال ينشد في المراة المتعلمة، روح الزوجة القديمة، أي روح المرأة البدائية الخاملة المستسلمة، المخنوقة الروح، المعدومة الشخصية، التي لا تهتم بالمشاركة المعنوية في دائرة الزواج إطلاقاً، والتي تعتبر نفسها زوجة سعيدة محظوظة لا حق لها في التبرم والشكوى، مادام زوجها يوفر لها جميع مطالبها، بإعتبار أن هذه المطالب هي هدف الزواج الأول والأخير...

والواقع أن هذا النوع الحديث من الرجال، ما يزال ينشد ذلك النوع القديم من النساء، ضناً بسلطانه، وحرصاً على حريته، وحماية لإستقلاله وإبقاء على متعه، وعجزاً عن معالجة المرأة الحديثة المتعلمة...

فالمرأة الحديثة تأبى إلا أن يكون زوجها زميلًا لها، تحبه ويحبها، وتفهمه ويفهمها، وتشاركه في الحياة المعنوية والمادية الكاملة على

قاعدة المساواة الممكنة العادلة في الحقوق والواجبات.

ولكن تلك الطائفة من الأزواج المتعلمين، تخاف المرأة المتعلمة، وتشعر بقوتها، وتحس أن الزواج بها يتطلب جهداً عسيراً غير مألوف، فبدل أن تقدر قوتها، وتغتبط برقيها، وتنزع للتفاهم معها، والإندماج المعنوي فيها، والتسليم بحقوقها، والنزول عن جزء جوهري من حريتها في سبيلها، بدل أن تسلك تلك الطائفة من المتعلمين هذا المسلك العادل الشريف، تراها على النقيض تحاول أن تسيطر على المرأة المتعلمة، وأن تخنق إستقلالها، وتقتل شخصيتها، وتردها إلى الحياة الخاملة البليدة المستسلمة التي كانت تحياها نساء العهد القديم...

فأنانية بعض المتعلمين، تفسد تعليمهم، وتفسد ضمائرهم، وتدفع بهم إلى انتهاج سبيل يسجل عليهم العجز والجبن والضعف، ويفضي آخر الأمر إلى زعزعة حياتهم الزوجية وتقويض صرحها من الأعماق.

فكل مصري متعلم مطالب بتقدير المصرية المتعلمة، مكلف بدفعها إلى الأمام لا يردها القهقري، وإلا كان خائناً لرسالته، مجرماً في حق نفسه، وفي حق أبنائه، وفي حق أمته!..

الغيرة عند المرأة والرجل

لماذا يغار الرجل؟...

لا يستطيع الغيور أن ينعم بلذة الطمأنينة أبداً. فخياله بجسم أبسط الأشياء، ويتشبث بها، ويتهالك عليها، ويعتقد إعتقاداً راسخاً أنها حقائق واقعة.

والغيور يستعذب الشك، ويستمريء الإرتياب، ويجد في الإتهام الظالم متعة لاتعدلها متعة الثقة العميقة التي يشعر بها الإنسان العاقل المتزن السليم..

والأصل في الغيرة الطائشة الجامحة العمياء، إحساس وحشي بحيازة مخلوق معين، وإحساس أشد وحشية بأن هذا المخلوق يغدق علينا فيضاً من اللذائذ النادرة، يجب أن ننعم بها وحدنا ويجب أن نستمتع بها وحدنا، لأنها لا تقاس بمختلف اللذائذ التي يمكن أن يغدقها علينا أي مخلوق آخر، بالغاً ما بلغ من روعة الفتنة وسحر الجمال..

فالغيرة ولا سيما عند الرجل، تصدر عن شعور همجي بملكية المرأة ملكية تامة مطلقة، كما تصدر عن ضرب من الهوس الجنسي، يلقي في روعِ الرجل أن محاسن إمرأته لا مثيل لها، وأن أبصار الرجال لا تنفك تنهبها، وأن أقل تساهل أو تهاون في الذود عنها لابد أن يلوثها، وتجعل منها هيكلًا مستباحاً للجميع...

فالشعور الهمجي بملكية المرأة مقروناً بالشعور الحيواني بغرابة محاسنها، وندرة مفاتنها، وعمق الملذات الحسية التي تصدر عنها، هذا الشعور هو الذي يملأ نفس الغيور، ويوقظ خياله، ويلهب شكوكه، ويضرم وساوسه، ويجعله كالبخيل الملهوف، لا تطبب له الحياة، ولا يقر له قرار إلا إذا حام أبداً حول كنزه، وإطمأن على متاعه الغالي من عبث اللصوص...

ومع ذلك فالغيرة أشد وطأة من البخل وأنكى عاقبة. إذ البخيل يحرم نفسه وأهله ويجد في الحرمان لذة. أما الغيور، فلفرط أمعانه في التمتع وإسرافه في اللذة، لا يستطيع أن يتصور هذه اللذة النادرة ملكاً للآخرين، فيضطرب ويحار ويخاف ويرتعد، ولا يجد بعد متعة الحيازة المطلقة متعة أروع ولا أعمق من متعة الإستبداد والتنكيل. فتراه يحب إمرأته ثم يضطهدها، يتعلق بها ثم يعذبها، يجيبها إلى جميع رغباتها ثم يتقاضاها الثمن غالياً من صفوة إحساسها وخالص كرامتها...

فالغيور ضعيف. ضعيف الثقة بتأثيره. ضعيف الثقة بسلطانه، ضعيف الثقة بعقله وذكائه وقدرته على معالجة المرأة. وهذا هو السر في إعتقاده أنه بالغيرة يتفوق، وبالغيرة يحرص، وبالغيرة يصون..

ولكن هل ترى المرأة في مثل هذه الغيرة المخبولة عنوان قوة، وهل هي تؤخذ حقاً بها، وتحسب حسابها، وتخشى عواقبها، وتجتهد في أن تكون فاضلة وشريفة تحت تأثيرها؟..

الواقع أن النساء ينقسمن حيال غيرة الرجل إلى طوائف ثلاث:

نساء ذليلات مستعبدات يرين في الغيرة العنيفة دليل حب عنيف فيفرحن بها، ويهللن لها، ويحتملنها عن طيب خاطر، ويرضين بالسجن والأسر والهوان مدفوعات بعامل الفخار والزهو.

ونساء أبيات شامخات، فاضلات عفيفات، يرين في مثل هذه الغيرة رمز العبودية. فيستنكرن ويسخطن، ويتمردن ويثرن، ويعصف بهن إحساس الكرامة، فلا يترددن في فصم رباط الزواج، إبتغاء الشعور بلذة الحياة ونعمة الحرية.

ونساء داهبات ماكرات، لئيمات خبيثات، يعلمن حق العلم أن غيرة الرجل دليل ضعف وحماقة وجبن، فيسخرن منه، ويحتلن عليه، ويفرون به، ثم بخدعنه في بساطة عجيبة وبراءة مدهشة، وهن يمثلن دور الزوجات الطبعات الوفيات...

فإسراف الرجل في الغيرة يدفع المرأة والحالة هذه، إما إلى إستمراء العبودية، وإما إلى التطلع إلى الثورة، وإما إلى التدهور والسقوط.

وفي هذه الحالات جميعاً تفقد المرأة أخلاقها، وتفقد كرامتها، وتفقد أمنها ومستقبلها، وتنحل روابط الأسرة، وينهار صرح الزواج.

فالفيرة إذن لا توحي القوة بل توحي الضعف، ولا تدفع إلى الصيانة بل إلى التفريط، ولا تغرى بالفضيلة بل بالرذيلة. فمن العبث أن نفرض الفضائل على المرأة فرضاً، ومن العبث أن نجبرها عليها إجباراً، ومن العبث أن نتخذ من الغيرة الطائشة أداة لتهديدها وإرهابها وإلزامها حد الشرف والإستقامة.

إن المرأة في الحقيقة لا تعطي إلا مدفوعة بعامل الثقة، ولا تخلص إلا مسوقة بتأثير المثل والقدوة. فإذا وثق الرجل بها، أيقظ شخصيتها، وألهب كبرياءها، وأثار كرامتها، وإذا كان هو نفسه قدرة صالحة لها، كانت هذه القدوة الحية أفعل في تهذيب نفسها، وصقل طباعها، وتلطيف غرائزها، من جميع ضروب الحماقات النفسية التي يولدها الحب الشائن المنكر البغيض المشبع بالغيرة.

لماذا تغار المرأة؟

إذا كان الأصل في غيرة الرجل غريزة الإمتلاك مقرونة بعنف الشهوة، فالأصل في غيرة المرأة شعور الخوف مقروناً بالكبر والزهو والخيلاء.

فالمراة لفرط إحساسها بضعفها الطبيعي، وتلهفها على حياة الأسرة، وحاجتها إلى رجل يصونها ويحميها، لا تستطيع مهما حاولت أن تتحرر من شعور القلق والإضطراب والخوف بصفة دائمة مطلقة.

فهي تخاف على نفسها، وعلى سمعتها، وعلى مستقبلها ومستقبل أبنائها، وهذا الخوف يولد فيها غيرة على الرجل، أساسها الغرض والمصلحة.

بيد أن المرأة لا تغار مدفوعة بعامل الخوف والمصلحة فقط، بل مسوقة أيضاً بزهوها وغرورها وإعتقادها الراسخ بأنها أجمل وأفتن من غيرها، وان في وسعها أن تمنح الرجل من محاسنها أضعاف ما تستطيع أن تغدقه عليه أية إمرأة أخرى...

فالخوف على المصلحة، والشعور الساذج بالتفرد في الجمال والسحر، هما الينبوعان العميقان اللذان تصدر عنهما غيرة المرأة.

والواقع أن إعتداد المرأة بمحاسنها لا بدمنه لمكافحة خوفها وإضطرابها وقلقها، فالرجل قوي وحر ومنقلب واناني، ولا سبيل إلى الحرص عليه إلا بانوثة معتدة بنفسها، معتزة بمفاتنها، واثقة بقدرتها وسلطانها ولو بلغت هذه الثقة حد الزهو والغرور...

فالغيرة النسوية إذن حالة نفسية، يشترك فيها عقل المرأة دفاعاً عن مصلحتها، وتشترك فيها عواطفها دفاعاً عن شخصيتها بإعتبارها أنثى تود بكل قواها أن تكون مميزة على أترابها لتروق في عين الرجل وتحتفظ به.

وهذا التآلف بين العقل والعاطفة هو الذي يجعل من غيرة المرأة في معظم الأحيان، قوة وحشية رهيبة لا تقاس بها غيرة الرجل بالغة ما بلغت من استبداد وقسوة وعنف.

فالمرأة متي اشتد بها الحرص على زوجها أو حبيبها، ومتى اشتد بها الخوف على مصلحتها، إلتهبت في نفسها كبرياء الأنثى، وأشاعت فيها ضرباً من الغيرة الجنونية لا تستطيع معه أن تتصور ان في مقدور إمرأة أخرى أن تعبث بمصالحها، وأن تهدم حياتها، وأن تسلبها زوجها أو حبيبها.

ومجرد إحساس المرأة بإمكان وقوع هذا الخطر، يحيلها في مثل لمحح البرق من إنسان إلى وحش مفترس، فتراها، بعد أن كانت طيعة مقبلة، تنقلب مستوحشة ونفوراً، جامدة وغليظة، متأبية وقاسية، تنتابها

الرب فتهلع، وتساورها الشكوك فتثور، ويجسم لها الخيال عظم الخطر، فيجن جنونها، ولا تجد الخلاص إلا في نفس عاطفة الغيرة التي تأكلها وتأكل من حولها...

وهذا الإسراف يجعلها طاغية وجباراً وجلاداً وسجاناً، فيعصف بعقلها وقد يدمر صرح حياتها تدميراً.

والحق أن جنوح المرأة إلى مثل هذا الإسراف في الغيرة، يرجع إلى سرعة إلتهاب خيالها الناشئة عن الخوف والكبرياء، فهي بدل أن تنظر وتتحقق، وتتئد وتفكر وتلاحظ وتقدر، تستسلم لخيالها، فيجمع بها، فتبدو ولها الحركة العارضة شبهة، والكلمة البريئة تهمة، والإبتسامة التافهة خدعة، حتى ولو صدرت من زوجها لحسناء عابرة، أو لطيف إمرأة أخرى...

وليس شك في أن سرعة إلتهاب خيال المرأة، هي التي تعكر صفوها وتذهب براحتها، وتفسد أخلاقها، وتنشر في جوها البيتي تلك المنازعات الزوجية المروعة التي لا بد أن تفضي إما إلى شقاء دائم وإما إلى قطيعة وطلاق.

والعجيب في المرأة أنها لا تشعر بما تحدثه غيرتها الطائشة من أثر وبيل في الرجل. فهي تحسب القلق عناية، والشك إخلاصاً والإرتياب وفاء، والغيرة حباً. في حين يشعر زوجها بأن القلق وقر، والشك إهانة، والإرتياب إتهام، والغيرة وصمة ومرض ولعنة.

ومع ذلك فقد تكون المرأة على حق في غيرتها، وقد تكون واثقة

من أن زوجها أو حبيبها قد خدعها. وعندئذ تفقد كل سلطان لهاعلى نفسها، ويباعد اليقين بينها وبين ضميرها، فتستيقظ أخطر وأوضع رذائلها، وتصبح بين أمرين، إما أن تثأر من الرجل القادر بأن تسمم حياته وهي تعيش معه. وإما أن تقابله خيانة بخيانة وغدراً بغدر.. وفي كلتا الحالتين تشقى المرأة، ويتجلى فيها الضعف وإن إتخذ مظهر القوة.

وإذن فضعف المرأة هو الذي يقودها، وخوفها من الرجل هو سر غيرتها، فيجب أن نفهمها، وأن تحاول أن نشفيها من دائها لا أن نلومها فقط عليه.

وخير ما يمكن أن نفعله لإنقاذها وإنقاذ راحتنا، هو أن نهتم بها، أن نحبها، أن نودع في نفسها الثقة المطلقة بنا، والإطمئنان التام لمسلكنا.

ومتى وثقت المرأة بزوجها، وإطمأنت إليه، وأمنت في كنفه على مستقبلها ومستقبل أبنائها، سكنت غرائزها، وتلطفت أهواؤها وتهذبت فيها عاطفة الغيرة، وتبدلت وتطورت، واستحالت إلى رعاية هادئة متزنة بصيرة، لا أحب إلى الرجل منها.

الغيرة التي تحبها المرأة

لا تفهم المرأة الحب بدون غيرة. وهي تغتبط وتفرح كلما شعرت بأن من تحبه يغار عليها.

ولكنها مع ذلك تحتقر الرجل الحائر القلق المضطرب الذي يظهر

غيرته، ويعرضها على الملأ، ولا يستطيع أن يخفيها.

فالغيرة التي تعجب النساء هي الغيرة المتزنة المترفة الأبية، الدالة على عقل راجح يفهم كل شيء، وفكر ثاقب يلحظ كل شيء وثقة عميقة بالنفس في مقدورها أن تقاوم كل شيء...

هذه الغيرة هي التي تفتن المرأة لأنها تحمل في هدوئها الواثق معنى الرجولة.

أما الغيرة المخبولة العمياء فعاطفة «أنثوية» مجردة من العقل. والمرأة تكره في الرجل أن يكون مثلها وأن يشعر بعواطف جامحة طائشة كتلك التي تشعر بها الأنثى.

الغيرة من الماضي

هنالك رجل يسرف في حب زوجته التي اقترن بها وهي أرملة أو مطلقة، إلى حد أنه يغار عليها من حياتها القديمة، بل من إتجاهات أفكارها وعواطفها في الزمن الذي لم يعرفها فيه...

فهو يتصور أنها خلقت منذ الأبد له وحده، فتراه يعد عليها سابق هفواتها، ويؤاخذها على أخطاء لم ترتكبها في عهده، وبأبى ألا أن يعكر صفو هنائها وهنائه، ويجهز على الحب الذي أراق في تكوينه عصارة فكره وقلبه.

وهو لا ينفك يغار من الماضي ليستكمل إحساسه بملكية المرأة، محاولًا إقناع نفسه بأن واجب الحب والإخلاص والوفاء كان يجب أن

يقضي عليها بأن تظل عذراء نقية، مرتقية حبه، منتظرة معدمه، حريصة على ألا تمنح من ذاتها شيئاً لسواء...

وعبثاً تحاول الزوجة المظلومة التي تعيش في الحاضر أن تبرهن لزوجها بحبها وولائها على أن الحاضر شيء والماضي شيء آخر. فهو لا يمكن أن يفهم، ولا يمكن أن يقبل أو يتصور أنها كانت في يوم من الأيام متعة رجل آخر، وأن رجلًا آخر قد كشف لها عن سر الحب ودنيا الهوى. والواقع أن لب شخصية هذا الزوج الغيور كامن في إصراره على أن يكون أول وآخر رجل تعرفه زوجته. وهذا ما يدفعه إلى الغيرة من الماضي، حيث يجد لذة كبيرة في الإحاطة بكل ما يتعلق بشخص إمرأته، وحيث يتوهم أن هذه الإحاطة تجعلها على الرغم منها، ومن تأثير الزمن الذي كانت فيه لسواه، ملكاً خالصاً له!...

وفي وسعنا أن نتمثل شقاء إمرأة وقعت فريسة لمثل هذا الزوج الغيور، فهي تشعر بأنها شريفة، وأن ماضيها كان أبيض ناصعاً، وأن علاقتها بأول رجل عرفته كانت علاقة واضحة وصريحة ومشروعة، ومع ذلك فزوجها يأبى ألا أن يشوه ماضيها، ويلوث شرفها، وينظر إليها على اعتبار أنها غانية لا سيدة!...

وليس شك في أن هذا الضرب المروع من الغيرة لا يمكن أن يولد الحب، بل هو على النقيض، يقتل الحب والمحب والمحبوب على السواء!...

الغيرة من صديق الزوج

قل أن تفهم المرأة قيمة الصداقة بين رجلين، وقل أن تفهم أن تكون قيمة الصداقة في نظر الرجل مساوية لقيمة الحب وأثمن منها، فصديق الزوج هو في الغالب عدو الزوجة، تغار منه، وتحذره، وتخاف أن يسلبها شيئاً من حب قرينها.

ولكن إذا كانت المأاة للنفس والجسد، فالصديق للنفس أيضاً ثم للحياة الكبرى.

وهذا مالا تقره المرأة القصيرة النظر ولا يمكن أن تفهمه. لماذا؟ لأنها تأبى ألا أن يسيطر حبها للرجل على حياته الداخلية وحياته الخارجية، المنزلية والدنيوية، بإعتبارهما وحدة لا تتجزأ ويجب ألا تنفصم.

بيد أن عقل المرأة مهما كانت مثقفة، لا يمكن أن يلم بمختلف أسباب الحياة الدنيوية، وعقل الرجل مهما كان عاشقاً، لا يمكن أن يكتفي بملذات الحياة البينية، فهو ملك العالم قبل أن يكون ملك البيت، وهو ملك الدنيا قبل أن يكون ملك إمرأة، وهذا هو السب في أن كل زوج يحاول في الغالب أن يتخذ بجوار إمرأته التي تمثل في نظره نعمة الحب والبيت، صديقاً بمثل في نظره نعمة الإتصال بما في العالم الخارجي من حركه وحياة.

ومن هنا كانت المرأة المحبة الذكية لا تنفك تسعى لتكون الزوجة والصديقة في نفس الوقت، ولكن هل في وسع المرأة تحقيق ذلك المثل

الأعلى. وهل في مقدورها أن تغني الرجل من الرجل، وهل يمكن أن يقوم حبها وذكاؤها وماخبرته من الحياة، مقام خبرة الصديق وتجاربه بوصف كونه رجلاً؟...

ليس من شك في أن المرأة قد تكون قادرة على إبداع فضائل خارقة تصدر عن الحب والحنان، وتتمثل في إنكار الذات والتضحية. ولكن هناك أشياء بين الرجل والرجل لا يمكن أن يصل إليها مدى تفكيرها. هناك مشاكل ومآزق فكرية وإجتماعية ومالية، كما أن هناك ضروباً من الشهامة في المعاملة، والنخوة في المعاونة، والدقة في الإحساس، والتعمق في فهم وجهات النظر المختلفة، لا تستطيع المرأة أن تفهمها أو نشعر بها أو تروض نفسها عليها كي تحل محل الصديق الرجل في قلب زوجها.

ويجب أن نصارح بأن هذه المحاولة منها، دليل على رغبة في السمو بالحب، والرقي بالفكر، والإشتراك مع الرجل بالجسد والروح، وهي محاولة نبيلة ومجيدة ومنشودة، ولكن على المرأة أن تعلم أن صداقتها لن تكفي الرجل، وأن نقص الرجل لن يكمله إلا الرجل، وأن إحتفاظ الزوجة بسلطانها على زوجها في حياته الداخلية لا يساعد عليه في معظم الأحيان إلا وجود صديق شريف وفي، يعرف كيف يشبع في الزوج مطالب الحياة الخارجية.

فعلى المرأة ألا تنفر من صديق زوجها أو تغار، بل عليها أن تبحث عما إذا كان شريفاً، أبي النفس، كريم الخصال، جديراً بتلك الصداقة،

فإذا إستوثقت منه، فلتحكم الصلة بينه وبين قرينها، ولتعلم أن مثل هذه الصداقة قد تكون أكبر معوان لها على الإحتفاظ براحتها البيتية وأمنها العائلي وحب زوجها.

تربية الجيل الجديد

فن تربية الأطفال

أسوق هذه الملاحظات في فن تربية الأولاد إلى جميع الآباء والأمهات في مصر والشرق العربي. فنحن اليوم أحوج ما نكون إلى التمرس العميق بفن التربية، يوجهنا الوجهة العلمية النافعة ويعاوننا على إعداد جيل صالح جديد. ورجائي أن ينعم الآباء النظر في هذه الملاحظات، فهي مجموعة إرشادات عامة وتوجيهات رئيسية في وسعهم أن يطبقوها على البنين والبنات على السواء.

المرح حياة الصبي

أولًا – يجب أن يعيش الصبي في جو من المرح، فالمرح ينعشه كما تنعش الشمس النبات.

ثانياً – الصبي المرح هو الصبي الموفور الصحة السليم البدن. فإذا مال إلى الكآبة والحزن، فهذا هو الدليل البالغ على إحساسه بإعتلال في صحنه. وعندئذ يتحتم على الأم أن تلاحظه وتسرع بقياس درجة حرارته.

ثالثاً – كلما كان الصبي مرحاً، كان أكثر تفاؤلًا بالحياة، وأوفر إستعداداً للعمل.

رابعاً – تنبع قوة الصبي من بهجة البيت. وقلما تضطرب أعصابه

إذا أحس أن روح المودة والصفاء ترفرف على والديه.

خامسا – إذا أسرف الصبي في الحركة والضجيج، فلا يجب أن تجبره إجباراً تعسفياً على الجمود والصمت، بل علينا أن نوجهه وجهة عملية تستغرق نشاطه وتستوعب عوامل الحركة المضطرمة فيه.

الثقة حافز للعمل

أولًا – ينبغي أن نشعر الصبي بأننا نثق بأفكاره وإستعداداته وعواطفه. لأن شعور الثقة هو الحافز الأول للفكر والعمل على السواء.

ثانياً – إذا كنت أنت لا تثق بقوة شخصيتك فمن العبث أن توحي الثقة إلى ولدك.

ثالثاً – يجب أن يكون للصبي مكتبه الخاص كي بحس أنه صاحب شخصية مستقلة تتمثل في كيان مستقل وفي عمل خاص.

رابعاً – لا تقل للصبي أنه سخيف وأنه أبله وأنه عبيط.

فهذا التحقير يحز في صدره، ويفقده الشعور بكرامته، ويجرده من الثقة بنفسه، ويشيع في أطواء قلبه عوامل الحيرة والقلق والخوف.

خامساً– إذا قام الصبي بعمل خارق يثير الضحك ويعود مع ذلك ببعض الفائدة على نفسه أو على الآخرين، فلا يجب أن نتخذ من عمله هذا مادة للضحك والسخرية، بل علينا أن ننظر إليه نظرة جدية تقدر فائدة العمل ولا تحفل بجانبه الصبياني.

التسامح مع الصغار

أولًا – إذا تسامحنا مع الصبي وتجاوزنا عن أخطائه ولو مرة، حرضناه على التمادي فيها. وإضطررنا أن نسلم له على طول الخط.

ثانياً – لايجب أن نحمل الصبي أكثر مما يستطيع أن يحمل، فهو ليس بملاك. والواجب أن نطلب منه القليل على ألا نتسامح معه أبداً في تنفيذ هذا القليل.

ثالثاً – إذا أحس الصبي أنه أخطأ وطلب منا الصفح والمغفرة، فيجب أن نصفح عنه، على شرط أن يظهر إستعداده للتكفير عن ذنبه بالطريقة التي نختارها له، أو التي يختارها لنفسه.

رابعاً – التسامح مع الصبي لا يطمعه في أهله فحسب، بل يشعره بأنهم دونه قدرة وذكاء. فيشمخ عليهم، ويطلق العنان لغرائزه، ويمعن في إستمراء لذة الإستخفاف والتحدي.

خامساً – إذا كنت قد هددت ولدك بعقوبة يستحقها، فيجب أن توقعها عليه. وإذا كنت قد وعدته بمكافأة يستحقها فيجب أن تبر بوعدك وتمنحها له.

إحساس العدل والظلم

أولًا – يقدر الصبي قيمة العدل تقديراً لا تنبيهاً عميقاً، كما يشعر بوطأة الظلم شعوراً فطرياًشديداً، فلا تعاقبه إلا إذا أيقنت أنه مذنب، ثم أقنعته بخطورة ذنبه وعرفت كيف تبرز مسؤوليته الأدبية وتصب عليها

ضوءاً ساطعاً.

ثانياً – يجب أن تكون العقوبة على قدر الذنب، وإلا إلتهب في صدر الصبي شعور الظلم، فثار وتمرد، أو صبر وإحتمل، كاظماً غيظه، خانقاً لوعته، طاوياً نفسه على إحساس مرير بالسخط والكراهية والحقد.

ثالثاً – اضبط أعصابك جهدك، وإياك أن تحكم على الصبي قبل أن تسمعه، أو تعاقبة قبل أن تتيح له فرصة الدفاع عن نفسه. وهكذا تنقذ إحساسه بكرامته، وتشعره بوجود روح العدل في هذه الدنيا.

رابعاً – كلما قدرت جهد الصبي أنعشته وقويته. وكلما كافأته على جهده، تعلق بالجهد والمكافأة، وتجنب من تلقاء نفسه الإستهداف لعقوبة قد توقع عليه التهاون في تأدية واجبه.

خامساً – بجب أن يفهم الصبي أن العدل يقضي بأن يكون عقاب الذنب المستور أقسى بكثير من عقاب الذنب الواضح، وهكذا يشعر بخطورة الكذب والنفاق والغش.

لا تكذب على ولدك

أولًا – إذا كذبت على ولدك إحتقرك، وإذا ضللته ضللك، وإذا خدعته تفوق في الخداع عليك.

ثانياً – قل له الحقيقة ولا شيء غير الحقيقة، ولكن عليك أن تفرق بين الحقائق التي يجب أن تقال، والحقائق التي يجب أن تظل مستورة، حتى يأذن لك تقدم سن الصبي أن تكشف له عنها النقاب.

ثالثاً – الصبي مولع بطرح الأسئلة، فهو يريد أن يعرف كل شيء، ويفهم كل شيء، ويذهب في الفضول إلى أقسى حد، فلا تتهرب من أسئلته مدفوعاً بعامل الضجر، وأجبه عليها ما وسعك علمك، تعاونه على فهم الحياة وتضاعف إحترامك وهيبتك في نظره..

رابعاً. – خاطب الصبي كرجل، والبنت كإمرأة. وإعلم أن لا أحب إلى الصغار من أن تعاملهم كالكبار، أي في صراحة ورصانة وتعقل وجد.

خامساً – يقول المثل: إذا كبر ابنك فأتخذ منه أخاً لك. ولكني أقول أن الأخ قد لا يعرف أخاه، فاتخذ من ابنك، ولو كان صبياً، صديقاً لك. إذ الصداقة هي المشاركة، والمشاركة هي المساواة، والمساواة هي المودة والثقة، والمودة والثقة هما غاية ما يطلبه الصغار من الكبار.

التربية الجنسية

الصبي في عرف فرويد ليس هو المخلوق البريء الطاهر الساذج الذي نتوهم، بل هو شيطان صغير ملء رأسة الأفكار والخيالات والعواطف الجنسية الحادة. وما حب الصبي لأهله وميله إلى الطلاقة والمرح وتعلقه الشديد بأشخاص معينين سواء أكانوا من أقربائه أم من أصدقائه أم من أساتذته إلا أعراض يردها «فرويد» إلى عوامل جنسية محضة لا تنفك تحاربها قوانين المجتمع وآدابه حتى تكبحها فتندس في (العقل الباطن) ثم تأخذ في الظهور وقتاً بعد آخر في شكل هوى ساذج أو إحساس عنيف أو ميل شديد إلى المرح أو نزوع إلى الوحدة أو توق إلى الحزن أو ولع بالتستر والكذب والنفاق مما يلحق أكبر الضرر بخلق

الصبي ويؤثر في أدوار حياته كلها. فالغريزة الجنسية القاسية بخيالاتها وصورها وماتولده هذه الخيالات والصور من تفاعلات نفسية خفية تعمل عملها السري في العقل الباطن. ولكن آداب المجتمع الصارمة تحول بين هذه الغريزة وبين التكشف والإرتواء فتتحول رغباتها عن طريقها الحيواني الطبيعي ولا تجد متنفساص لها إلا في الميول والعواطف المريضة أو الشاذة التي تسمم وجدان الصبي وعقله وترغمه على النظر إلى الجانب الجنسي من حياته وحياة الأخرين نظرة الخوف والهوس والعبودية والرياء.

فرغبات الصبي الجنسية المرتدة إلى عقله الباطن تتجمع في ذلك الحيز الضيق وتعقد هناك مؤامراتها وتجتذب إليها رغبات أخرى وأفكاراً أخرى ثم تتضخم وتنطلق فجأة وقد استحالت في نفوس الصبيان إلى عواطف مركبة مشوشة تبدو لنا –نحن الكبار– غريبة لأننا نجهل أو نتجاهل سرها ولانود أن نعترف صراحة بأن مبعثها الغريزة الجنسية المحتجزة لفرط ما نخشى سلطان هذه الغريزة وحكم آداب المجتمع عليها.

ويرى علماء التربية المعاصرون وعلى رأسهم الأستاذ فالون ومدام منتيسوري أن من واجنا أن نمزق هذا الحجاب الجنسي الذي يسدله المجتمع وآدابه على شخصية الصبي. أن نحرر الصبي من طغيان الغريزة الجنسية التي تحتل عقله وجسمه وتبتليه بضرب من جنون الفكرة الثابتة.

فمن واجب الأم في البيت أن تلحظ تطورات شخصية ابنها، وأن

تباعد جهد الطاقة بينه وبين المناظر والمشاهد التي قد تلهب فيه الخيال الجنسي، وأن تصرفه عن مخالطة صديق معين يشعر من نحوه بميل طاريء يشوبه الإسراف، وأن تجتهد في صقل ميوله الحيوانية وتحويلها عن مجراها الفريزى والتسامي بها إلى مختلف أنواع اللجو البريء، كأن تغريه بالإقبال على الألعاب الرياضية وسواها من ألعاب التسلية، أو تصحبه إلى الحدائق والمنتزهات لتعلمه كيف يتذوق جمال الطبيعة، أو تدفعه إلى مطالعة القصص الرائعة ذات الحوادث القائمة على الشجاعة والإستبسال، أو تدربه على ممارسة الموسيقى أو التصوير أو أي فن من الفنون الجميلة.

والمهم أن تستطيع الوالدة أن تخلق لابنها جواً من الحرية والمرح يعيش فيه وألا تخشى عليه من الإختلاط بأعضاء الأسرة وأصدقائها من الفتيات كي لا يستحوذ على ذهنه خيال الجنس الآخر، وكي يحس أن لا غرابة في ذلك الجنس ولا جاذبية شهوية مفعمة بالأسرار. وكل هذا مع إقتران الحرية بالرقابة اللبينة الحازمة على تصرفات الصبي وأعماله.

ومتى شب الصبي وترعرع فمن واجب الوالد أن يصارحه بجوهر المسألة الجنسية فيبسط له حقائقها بسطاً وافياً ويحذره من إنتقاضها وتفاعلاتها وغدرها. ويفهمه أن المرأة مخلوق رقيق وضعيف فيه فتنة للرجل وفيه متعة وخصب وحياة، ولكنه أيضاً مخلوق يجب أن يحترم لرقته وضعفه، ويجب أن يستحقه الرجل عن طريق العمل والكفاح وتأسيس المستقبل الزاهر يمهد السبيل للحب المشروع في دائرة الزواج.

واجبنا حيال بناتنا

من واجبنا أن نطلع بناتنا على كل شيء، ونصارحهن بكل شيء، ولا نخفي عنهن شيئاً. علينا أن نوقفهن على وظيفة المرأة كمواطنة وزوجة وأم ومربية. علينا أن نخاطبهن في غير خشبة زائفة أو خجل منافق عن الحب وأنواعه. الصالح منها والطالح، الصادق والكاذب، المشروع والحرم، علينا أن نبصرهن بعلاقة المرأة بالرجل، وبأسبابها ونتائجها وتفاعلاتها، وكيف أنها طريق الحياة السليمة القوية للفرد العاقل والشعب العاقل، كما أنها العابثين المستمتعين طريق الإنحطاط والموت!.

فإذا فرغنا من تسليح تلك العقول الناشئة، وأودعناها صفوة إختباراتنا، وحذرناها الحذر الشديد المتيقظ الواعي، وعودناها الصراحة وإحترام النفس والتفكير المستقل في شتى الأمور، فلا يجب أن نخشى عليها وطأة الحرية، بل يجب أن ندعها طليقة، ولكن في ظل رقابة معقولة، تحرص على مركز الأسرة دون أن تمس حق الفرد المقدس في الحرية.

والمهم أن نهذب تلك العقول الناشئة ثم نثق فيها، فالثقة مبعث الكرامة، والكرامة أصل الفضائل جميعاً. ولنفهم أنه إذا كان لنا أن نهدي مخلوقاً، فليس لنا أن نسلبه حرينه ولو كان أقرب الناس وأحبهم إلينا.

إن في كل فرد من كنوز العاطفة وكنوز المعرفة وكنوز القوة ما لا تظهره غير الحرية. أو لسنا نطلب الحرية للأمة لتتمكن هي أيضاً من إظهار هذه الكنوز؟ فكيف نتعصب لحرية الأمة، ولا نتعصب لحرية

الأفراد؟ كيف نوفق بين حرية الأمة وبين إستعباد فريق من أبنائها، علينا والحالة هذه أن نتبع المنطق الصريح، وأن نطالب بالحرية للشعب كله، أي للأمة ولجميع أفرادها من الجنسين على السواء.

توجيهات لبناتنا

أولًا – كل فتاة تعتقد أنها أجمل الفتيات وجهاً، وأذكاهن عقلًا، وأجدرهن بالثناء والتقدير والإعجاب. وكل شاب يحس بغريزته أن هذا الغرور هو الجانب الضعيف الحساس في الفتاة، فيستجمع قوى إغرائه وينفذ إليها منه، تارة بالمديح والإطراء، وأخرى بالعواطف الجياشة، والوعود البراقة، والأماني الخلابة التي لا تكلف صاحبها أكثر من البراعة والحذق في تزويق الكلام.

فلا تفتري بنفسك، ولا تقيمي كبير وزن لمحاسنك، خشية أن يصادفك ندل لئيم يعرف كيف يتملق طبيعتك. ويمالئك على ضعفك، ويموه عليك الإعجاب والحب، وهو يتحين الفرص ليطعنك بسلاح غرورك.

ثانياً – كل فتاة تدفعها الغريزة إلى الحب، وتزين لها أن خبر زواج هو ما ينهض على الحب. وهذا في الواقع إتجاه طبيعي وسليم. ولكن ليست العبرة في أن نحب بل في أن نودع حبنا قلب إنسان خليق بأن يحب.. وهذه كبرى المشاكل. فالفتاة قد تحب غير أن إلتهاب عواطفها وإضطرام خيالها ونقص تجاربها، عوامل قوية عنيفة لاتسمح لها بإصدار حكم نزيه على الشاب الذي تحب فواجبها والحالة هذه أن تلوذ على

الفور بأمها، وأن تصارحها بدخيلة نفسها، وأن تستهدي بعد ذلك بهدى والديها وأهلها في الحكم على ذلك الإنسان الذي سوف يصبح شريكاً لحياتها. فإذا أحببت فلا تتعصبي لشخصية محبوبك. لا تنفردي بالحكم عليه. لا تقولي أنه مثال الكمال. إسترشدي بآراء أهلك فيه. لاحظيه بجهدك. راقبيه ما استطعت. امتحنيه طويلاً. أبرئي ذمتك بالبحث والتحري قبل أن تقدمي على زواج مرتجل قد يصيبك بخيبة أمل مروعة، ويقضي على مستقبلك وحباتك شر قضاء.

ثالثاً – لا تخافي من الشبان. فخوفك منهم يضاعف شعورك بالجاذبية نحوهم، الواقع أنه لابد أن يغازلك البعض منهم. ماذا يهم. هذا أمر طبيعي. فابتسمي ولا تفزعي، ثقي بنفسك وقوتك، واثبتي أمامهم. كوني جريئة معهم. اتقبهم بالأدب والتحفظ، أرغميهم على إحترامك. عامليهم بروح رياضية صريحة بريئة لا تعرف المواربة والغش. ومتى شعرت أن واحداً منهم قد أحبك وقدرك بالفعل، وأنك أنت نفسك قد ملت إليه وأحسست أنه شاب جاد رصين يصلح لك، فاتئدي وتريثي حتى تمتحنيه. ومتى وثقت به فواجهه بالواقع لتعرفي نواياه. فإن أعرب عن رغبة صادقة في الزواج بك فانصحي له أن يتصل فوراً بأهلك، وإلا فاقطعي كل صلة لك به قبل أن يتورط قلبك في عاطفة لا يمكنك أن تعرفي مداها أو تقدري عواقبها.

رابعاً – لاتحلمي بزوج يشبه نجوم السينما، فممثل السينما يبدو على اللوحة البيضاء بطلًا، ولكنه قد يكون في معترك الحياة الغاشمة المظلمة أقل من إنسان، فاستمدي أحلامك من الواقع، واطلبي الإنسان

لا الخيال، وإلا خدعك المظهر، فاقترنت بممثل لا بإنسان..

خامساً – لاتنشدي الزوج الثري، ولاتبيعي نفسك بالمال، وغلا ظل قلبك خاوياً قلقاً متحرقاً وعشت حياة تاعسة شقية تخنقها العزلة النفسية، وتمزقها الهموم والحسرات.

ويجب أن تفهمي أن قيمة الرجل في خلقه لا في ثروته، وفي سمو عواطفه في رفعة منصبه، وفي عصاميته لا في أسرته، وفي تحفزه الدائم للعمل والجهاد، لا في عزة الموروث وماله المجلوب كما يجب أن تفهمي أن حظ الزواج من التوفيق كامن في التفاهم الفكري، والتلاؤم الخلقي، والإنسجام العاطفي.

والمشاركة المعنوية العميقة ولو في ظل حياة سداها العمل المتواصل، ولحمتها الجهاد الشاق.

سادساً – لاتكوني عابسة متجهمة، ولامازحة ماجنة. فالإفراط في الجد ثقل، والإفراط في المجون خلاعة، وكلاهما يقصي القلوب عنك، وينفر من طلاب الزواج.

المهم أن تكوني رقيقة وعاقلة فالرقة توقظ العواطف، وتأسر القلوب.

أما العقل فيوحي الطمأنينة، ويبعث على الثقة، ويلقي في روع الرجل أن في وسعه أن يتكل على فتاة رشيدة حكيمة، سديدة الرأي، ثاقبة الفكر، تستطيع أن تصبح إمرأة كاملة، وأن تضطلع بعبء أسرة،

وتنهض بتربية أولاد.

سابعاً – يجب أن يكون مظهرك جميلاً، ولكن في حشمة وبساطة وسلامة ذوق. فتجملي ولكن لاتتبرجي. وإعلمي أنك إذا أسرفت في التأنق وغلوت في الولع بمظاهر الترف، ألقيت الذعر في أفئدة الشبان، فاعرضوا عن الزواج بك خوفاً من تكاليفك وإعتقاداً منهم أن إسرافك في حب الأناقة والترف هو دليل بالغ على خلق سيىء، ونزعات فاسدة، وميول وأهواء يشوبها الكبر والطمع، ويمكن أن تلتهب يوماً، وتتجه في طريق غير شريف.

ثامناً – إحذري مراسلة الشبان، فالخطابات الغرامية ورطة لك، وبرهان ضعف منك، ومستند خطر قد يستخدمه عند الإقتضاء وغد سافل لتشويه سمعتك، وتلويث شرفك. فلا تكتبي إلا لخطيبك، ولا تخطي غير أسطر مشروعة لرجل تنهض علاقتك به على أساس واضح مشروع.

تاسعاً– لا تمنحي من نفسك أي شيء لي رجل قبل الزواج. إن الرجل الذي لم ترغميه على إحترامك وأنت فتاة، لا يمكن أن يثق فيك ويتخذ منك زوجة له.

وإذا حدث وتزوجك فهو لا بد أن يوجس خيفة منك، ولابد أن يسرف في الغيرة عليك، ولابد أن يندفع تحت تأثير الخوف والغيرة إلى إضهادك والإستبداد بك. ذلك لأنك مهما حاولت إيداع الثقة في نفسه وأنت إمرأة، فهو لن يستطيع أن ينسى، أنك كنت رخيصة متبذلة سهلة

المنال وأنت فتاة.

عاشراً – طالعي الصحف والمجلات والكتب. إتصلي بالعالم وإفهمي الدنيا، وإهتمي من الكتب بما يتحدث عن فن الزواج وإدارة البيت وتربية الأولاد وآداب المجتمع وأساليب الطهي. أنت في عهد تزود وتثقف وتحصيل. فافعمي ذهنك بالآراء والمعلومات، وتأكدي أن أبسط فكرة تخلفها الثقافة في ذاهنك لابد أن تحتاجي إليها في إدارة بيتك ومعاملة زوجك وتربية أولادك. إذ الآراء والمعلومات التي تختزنها الفتاة قبل الزواج هي بمثابة بذور كلما نشرتها في حقل حياتها نما بيتها وأزهر وآتى أبرك الثمرات.

حرروا الفتيات بالعمل الشريف

العمل يحرر الفتاة ويمهد السبيل للزواج الصالح. فكل فتاة تعيش في كنف والدها وأسرتها لا مهنة لها ولا مورد، تضطر للنزول عن حقها في بناء مستقبلها فهي لإستعبادها الإقتصادي مستبعدة من ناحية العاطفة أيضاً، لا تستطيع أن تقترن بالرجل الذي يختاره قلبها، وهي لعجزها الإقتصادي تقيم للمال أكبر وزن، فتؤثر الزوج الغني –وإن كان كهلًا وجاهلاً– على الزوج المتوسط أو الفقير– وإن كان شاباً ومتعلماً– فتضحي في أغلب الأحيان بالإحساس الصادق والشباب الناضر وسعادة القلب والروح في سبيل النعمة والرفاهية. وهكذا تبيع حريتها بالمال، لأنها لم تستطع أن تشتريها بالعمل!.

ومما يزعمه المحافظون أن تحرر الفتيات بوساطة العمل، وزوال

الفوارق الإجتماعية بين الجنسين، وإختلاطهما في شتى ميادين الحياة، كل هذه الظواهر لابد أن تجرد الفتاة من عفتها الفاتنة، وخفرها الرائع، وسحرها القديم، ولابد أن تخمد عاطفة الحب، وتقضي آخر الأمر على نظام الزواج..

وهذا الكلام صحيح في ظاهره ولكن الواقع ينكره.

فإتصال الفتاة بالشباب في محيط العمل بولد بينهما ضرباً من الصداقة الرياضية الصريحة، ويتيح للفتاة أن تفهم الشاب وتفطن لألاعيبه وتحذره وتقدره إذا إستحق التقدير. كما يدفع الشاب على الرغم منه إلى إحترامها وتهيبها.

ثم أن العمل الشريف يكسب الفتاة إحساساً عميقاً بالكرامة والعزة، فتقبل على الزواج مختارة لا مكرهة، وتحاول أن تبني حياتها الزوجية على العاطفة لا على المصلحة، وعلى التفاهم المشترك لا على المال، مادامت تشعر أنها لم تضطر إلى الحياة الزوجية إضطراراً، وأنها إنما إختارتها بمحض رضاها، وأنها ليست عبدة للرجل أو سلعة، وأن في مقدورها العودة إلى العمل إذا حلت بها كارثة، أو إذا قدر لها ألا تحقق في الأسرة ذلك التفاهم الخلقي والعاطفي المنشود.

والواقع أن ما يدفع إلى الحب والزواج هو جاذبية الأخلاق و جاذبية الحياء. والفتاة التي تعمل تشعر بغريزتها أنها يجب آخر الأمر أن تتزوج، وأنها لو تهاونت في الحرص على أخلاقها وحيائها وعفافها، فقد يكون من المستحيل عليها أن تجد رجلًا يحبها ويقدرها ويرضى أن يتزوج بها..

فجاذبية الحياء المنبعثة من متانة الأخلاق والمقترنة بغريزة الأنثى هي التي تؤثر في الرجل، وهي التي تؤدي إلى الحب، وتفضي إلى الزواج.

وإذن فلا محل لخوف المحافظين على الفتاة المتعلمة من العمل ولا محل لخوفهم على نظام الزواج من الإختلاط. الزواج رغبة فطرية باقية. ونظام الزواج سيبقى ولكن عقلية طلابه هي التي ستتبدل تحت تأثير العمل المشترك، متجهة نحو التعاون والتفاهم في ظل الكرامة والمساواة والحرية.

حق المصرية في النيابة عن الشعب

أعتقد أن المرأة المصرية المتعلمة إذا فازت بحق الإنتخاب والنيابة عن الشعب، فلابد أن يتطور مركب النقص الكامن فيها ويستحيل بين عشية وضحاها إلى مركب تفوق يدفعها إلى معالجة الشؤون العامة، بروح أشد إخلاصاً، وأوفر نزاهة، وأعمق إيماناً من الروح التي يعالج بها الرجل تلك المشاكل.

فعلى قدر ما إحتملت من ظلم ستكون متحمسة لإقران العدل. وعلى قدر ما إحتملت من عبودية ستكون صادقة العزم في الدفاع عن الحرية.

وأنا على يقين من أن المرأة المصرية لن تصبح عندئذ سخرية للرجل كما يزعم البعض، بل تصبح على النقيض موضع إحترامه، ثم تصبح على مر الزمن قدوة له في العمل المثمر الجدي النزيه، قدوة يحذرها ويخشاها ويحسب لموقفها من الشؤون العامة ألف حساب.

على أن نساءنا المتعلمات الطامحات يجب أن يفهمن أن الحقوق الديمقراطية تؤخذ ولا تعطى، وأن لا خير في حرية تمنح للمرأة إلا إذا نضجت المرأة لها، وشعرت بحاجتها إليها، وطالبت هي نفسها بها، وعرفت كيف ترغم الرجل على تحقيقها لها.

الفهرس